هذا الكتاب
من زخائر أسرار الكون

المستطرف من نور الهدى والعلم والايمان
من القران من بدء الخلق وقصص الانبياء

بدائع المخلوقات فى الكون الرحيب المتسع من صنع الله الذى أتقن كل شئ خلقه له فى كل شئ أيه تدل على أنه واحد لا اله الا الله
محمد رسول الله وكلمة التوحيد سبع كلمات فمن اجلها خلق السبع سماوات والسبع أرضين فى سبع أيام أولهما السبت من بخار الماء
واخرهما الجمعة ختم بالانسان وهيأ له أسباب الحياه لانه ثمرة الوجود ومن اجل أمرين أحدهما الاخلاص فى توحيده وطاعته
والثانى تعمير الارض واصلاحها وامر يسجد على سبع مواضع والطواف حول الكعبه سبع والمثانى السبع فى القران وهذا
الكتاب فيه حقيقة التوحيد الايمانيه الربانيه الاسلاميه الاخلاقيه العقلانيه من بدء خلق الكون
من حول أركان الكعبه ومن اضواء المدينه ومن جنة القدس أنوار ومعانى من القرأن والسنه

السعر
١٥ جنيه

مؤلف الكتاب : ٠١٢٧٧٥٧٦٨٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهر مجمع البحوث الإسلامية الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة	AL-AZHAR ISLAMIC RESEARCH ACADEMY GENERAL DEPARTMENT For Research Writing & Translation

٩٦٦٢
١٤

السيد / جابر محمد محمد إسماعيل عبد الكريم

[illegible]

[illegible] نور الهدى والإيمان

[illegible] ١٢٣ صفحة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أو [illegible]

و[illegible] الموفق ... مقتصر المشروع للأنبياء

[illegible] ...

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

[illegible]

٢٠٠٧/١/١٦

الأمين المساعد للثقافة

راشيم عطا الفيومي

جابر محمد محمد إسماعيل ٢٠١١٥٣ محرم بك
اسكندرية العجمي ابو يوسف شارع ٨ [illegible]
فى ملكه

قال تعالى:(فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)

"أعوذ بالله من الشّيْطان الرّجيم"

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾)

آمــــين

مقدمة الرسالة

الحمد لله القديم الأول. فليس قبله شئ. الآخر فليس بعده شئ الظاهر فليس فوقه شئ. الباطن فليس دونه شئ. الأزلي الذي لا يتحول، ولا تغيره الدهور، ولا ينفيه حدثان الليل والنهار، هو الذي أنشأ الوجود من العدم. وقدر ما كان قبل أن يكون في اللوح والقلم، وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم، واصطفى منهم نبياً محمداً وكمل به ديوان الأنبياء وختم ونسخ بشريعته جميع الشرائع، وأوجب طاعة على الخلائق من عاص وطائع، وجعل دول الإسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين، فهم ظل الله تعالى في أرضه لكل طائع انتظم في سلك المهتدين. أحمده حمداً يقتضي المزيد من النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ذو الفضل والجود والكرم، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله الذي كان نبياً وآدم بين الماء والطين. الذي أعطاه صفة جميع الأنبياء والمرسلين. أعطاه الله صفة آدم، ومولد شيث، وتداريس إدريس، وشجاعة نوح ، ونصح هود، وفصاحة صالح، وحلم إبراهيم، ولسان إسماعيل ورضا إسحاق وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وقوة موسى وعلم الخضر، وجهاد يوشع، وملك داود، وهيبة سليمان، وصبر أيوب، وتسبيح يونس، وزهد عيسى. فكان أهلاً لأن يخاطبه الله عن نفسه فأنزل عليه القرآن الكريم وعلمه روح القدس جبريل عليهما الصلاة والسلام وأخبره بما كان في بدء المخلوقات إلى يوم الدين.

فقد ألفت هذا التاريخ والسير أهداء إلى الحبيب المصطفى ﷺ وعلى آله صحبه وسلم. بعد مجهود كبير أكثر من أربعين سنةأرجوالله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ليكون نافع لهذه الأمة على المنهاج الإسلامى فمن ذخائر السنة، أخترت أحسن الأخبار من نفائس الدرر الصحاح ليكون نزهة لذوي العقول، فللمستخبر أن يسمع ويقرأ وللمؤلف أن يقول: فإن فيه من الفوائد العظيمة ومن المقول والعجائب وقد أوردت من معاني تفسير القرآن ومن شرح أضواء السنة ومن كتب المتحدثين والمؤرخين القداما والمعاصرين لتفسير معاني القرآن والكتب المصنفة الصحيحة للأحاديث القدسية والنبوية ومن الوقائع الحميدة واختصرت من الأشياء المسائل المفيدة ولقد هداني الله تعالى بجمع وإعداد ما تيسر في هذا التاريخ والسير من بحور العلم الزاخر وما حوى العلم جميعاً لأحد. لا ولو مارسه ألف عام إنما العلم كبحر زاخر. فاتخذت من كل شئ أحسنه. فى عدة فصول عن العرش والماء والكرسي والجنة والقلم وذكر خلق السموات والأرض وما كان قبل خلق آدم من الملائكة و الجن والبن والجان وإظهار العالم الموجود من مبدأ خلق آدم عليه السلام وحواء وما جاء من نسله من الأنبياء الكرام.

روىالامام مسلم فى صحيحه عن تميم الدارى قال: قال: النبى ﷺ "الدين النصيحة". وحتى يتمكن القارئ من هذا الجمع والتوجيهات والنصائح والعمل بما فيه . فمن وصاياه ﷺ : أنه قال: (بلّغوا عني ولو آية). رواه البخاري عن عبد الله ابن عمرو.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على كتاب الله القرآن الكريم قال تعالى:

(الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾)[1] (كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)[2] وختم برسالته محمد ﷺ . وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وأنزل عليه الكتاب المنير المبين قال تعالى: (قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾)[3]

وجعله تبيان لكل شئ وأيده بنصرة الإسلام الجامع لأصول الشرائع وأقدر النظم التشريعية على تقديم العلاج الإصلاحي وضياء واستقامة للإنسانية كلها من سمو وحكمة وصلاحية. وبالكتاب والسنة المباركة والفقه والشرع والأحكام من كنوز وزخائر وخزائن لا تنفد معانيها ولا تخلف مبانيها في كتب شتى لكبار العلماء وبالبحث وجدنا إمامين عظيمين أبو عبد الله بن محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري.

وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة وكبار العلماء الأجلاء هم المحجة البيضاء بعد القرآن الكريم ولذا أقبل كتاب نور الهدى والإيمان بكتابه بدء الخلق.

---

[1] سورة هود – الآية ١.

[2] ذكره ابن كثير عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه

[3] سورة النحل – ١٠٢

أقبل عليهما تبركاً ومفتاحاً بمشنه الله تعالى، وحسن توفيقه وعونه على هدوء في الروح. وإحساس ولذة في القلب، ونور وهدى وإيمان ثم يزيد الله علينا من فضله على ذلك فإنه يصلح من الجهات الإنسانية في نفوسنا ثم يرزقنا الله بنعمه ونوره من رزق فإننا نحن وأنت في بيان تمتد منه حبال الفكر بالبهجة والسرور والحب نحو الدين القيم المبين الذي أضاء الوجود بتمامه وكماله ومعالمه وأمجاده كأنما تراهم جميعاً حول الكتاب وسطوره وأنت تقرأها وكأنك ترى المتكلم هو رسول الله ﷺ . ورجاله وحوله الأمجاد لهم أمانة وصدق وأنت تقرأ حديثه وهم يرووا عنه ورضي الله عنهم أجمعين و كأنه يحدثك بنفسه فهو كلامه كلما زدته زادك معنى للنفس كالروح في جسمها البشري وكأنه يحضن أمة بأكملها فهو قائدها كالروح في سرها الإلهي للتأمل فهي معك على قدر ما أنت معه كلما حضر الذهن وتمعن في الكلمات وفي الآفاق تجد خواطر حضرت والملكات الربانية التي وهبها الله لك بالحكمة والفهم نحو الكتاب والسنة والفقه والشرع والأحكام التي شرعها الله ورسوله تتعلق بالكلمات الطيبات التي صدرت وإذا تأملت في المعاني التي رسمها رسول الله ﷺ والأمجاد والصالحين التي تركها لنا لتتأمل في المعاني إلى حقائقها التي صدرت وتعرضت لها صفحات كتاب نور الهدى والإيمان وترجمت لطلاب العصر الحديث الذي غاب عنهم اللغة والنحو والبلاغة وهم في جنة وعلوم وبساتين هيا بنا نقبل قبل ذهاب العلماء ورفع العلم نقتبس من النور الإلهي. وروى الإمام مسلم حديثا في صحيحه عن جرير، قال بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم.

تمهيد

قبل أن نخوض في بحار كتاب نور الهدى والإيمان على هديٍ ونور من الله، من بدء الخلق والإعجاز العلمي و التاريخي في القرآن الكريم لنستكشف عظمة الخالق الإلهي، من مظاهر الحياة في الكون.

روى البخاري عن عمران ابن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: (كان الله وحده ولم يكن شئ غيره). وقال الإمام أحمد عن زين لقيط عامر ابن عقيل قال، قلت: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض يا رسول الله؟ قال ﷺ: (كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم وضع عرشه على الماء) وفي تفسير الجلالين سأل سعيد بن جبير بن عباس عن قوله تعالى:

(وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى) أي شئ؟ كان (ٱلْمَآءِ). قال: على متن الريح. أي: على الريح والبراكين والنار ثم خلق الطبقة الجيرية ثم خلق الطبقة البازلتية ثم خلق الماء ثم ضع عرشه على الماء. والنار في (أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾)[1]. روى البخاري عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: (وكتب في الذكر كل شئ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ). وقال الإمام مسلم عن عمرو بن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول : (كتب الله مقادير السموات والأرض من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال و(عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ).

---

[1] سورة التين – الآية ٥

الفصل الأول

الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.

وقد أعاننا ربنا برسولنا محمد ﷺ خاتم النبيين عن سائر الشرائع وبكتابه عن سائر الكتب، فالمحتاج إليه قد أخبر به الله وبينه لنا وشرحه وأوضحه رسولنا ﷺ ، ولله الحمد. الحمد لله أهل الثناء والمجد. المنفرد برداء الكبرياء المتحد بصفات العلاء المؤيد صفوة الأولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء. فالرابحون هم الناجون المؤمنون الصابرون الشاكرون، هم أهل الإيمان. فالإيمان نصفان؛ نصف صبر ونصف شكر، وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى؛ فسمى نفسه صبوراً ، شكوراً. ولا سبيل إلا إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى بالإيمان، وكيف يتصور سلوك الإيمان دون معرفة ما به الإيمان؟ والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان، وعن إدراك من به الإيمان. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾)[1]

تذكر الآيات الكريمات والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية الشريفة. بنظام الكون البديع الذي خلقه الله تعالى. وقد أخبر الله نبيه وأنزل عليه قرآناً عربياً يحكم بين الناس ويذكر الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين. وأخبر الله تعالى عن الذين يمرون ولا ينظرون ولا يتفكرون في الكون.

---

[1] سورة السجدة – الآية ٢٤.

وفـي كتـاب نظـرات فـي الكـون والحيـاة، قـال مؤلفـه: شـأن العقـل أعظـم مـن العرش). وفي كتاب إحياء علوم الد ين، قال الترمذي في النوادر: سأل عبد الله بن سلام في حديث طويل فيه صفة العرش، قال رسول الله (ﷺ): الملائكة قالت: هل يا ربنا خلقت شيئاً أعظم من العرش؟ قال: نعم، العقل. قالوا: وما بلغ قدره؟ قال: هيهات، لا يحاط بعلمه، خلقت العقول أصنافاً شتى مثل عدد الرمل. قال: أتعلمون عدد الرمل؟ قالوا: لا. فيهم من أعطى حبة، وفيهم من أعطى حبتين، وفيهم من أعطى الثلاث، والاربع، وفيهم من أعطى وسقا، وفيهم من أعطى فرقا، وفيهم أكثر من ذلك." رواه الترمذي الحكيم في النوادر عن عبد الله بن سلام في حديث طويل فيه صفة العرش. وأخرجه ابن المجبر عن أنس بن مالك – رضي الله عنه. انظر إلى عقل الأعرابي الذي كان على الفطرة، وقد استدل الأعرابي بدون معلم ولا دراسة ولا فضائيات ولا علوم ولا فلسفة ولا طبيعة ولا دكتوراه. فاستدل بالفطرة على عظمة الخالق الإلهي، فقال الأعرابي لما سُئل على وجود الله، قائلاً: أن البعرة تدل على البعير. وأثر السير يدل على المسير. فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير؟! وقد علمنا الله سبحانه وتعالى بالقرآن ورسوله الكريم (ﷺ) وأصحابه الكرام – رضي الله عنهم –الذين كانوا في دنيا الصحراء بفطرتهم السليمة، بأن نبدأ بأبسط مظاهر الحياة لنستكشف عظمة الخالق الإلهي ونبتعد عن التعقيدات والفلسفيات الملتوية؛ لأنها تعكس الالتواء والخصومة إلى القلوب ونبتعد عن طريق الجدل وعلم الكلام الذي يؤدي إلى المتاهات والالتواء التي تبعد بناء الإيمان عن القلب. ويجب أن يفطن المسلم إلى الإيمان الرباني الإسلامي الأخلاقي العقلاني الذي أسسه الله سبحانه وتعالى. من أجل الإخلاص في توحيده وطاعته وتعمير الأرض وإصلاحها وقدر وارتضى لعباده التوحيد.

وذكر ابن كثير عن ابن إسحاق عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: (إن في صدر اللوح المحفوظ لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وحده وصدق بوعده أدخله الجنة). فمن أجل التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله خلق السموات والأرض رَتْقًا يوم السبت. روى البخاري عن أبي هريرة قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: (خلق الله التربة يوم السبت). قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا) أي: بدأ خلق السموات والأرض يوم السبت من بخار الماء. ذكر ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور عن ابن عباس: (لما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح جميعها أن تثور فثارت فهيجت المياه فثارت الأمواج ضرب بعضها في بعض). ومن الريح والبركان والنار ثار الماء منه بخاراً مثل الذرات الملتهبة في جو الفضاء تشبه الدخان. قالوا العلماء في تفسير الجلالين قال الزمخشري بخار الماء سُمّي بلسان العلم الحديث (السديم) قالوا وفيه عوالم كثيرة مثل شمس وسيارتها. وقال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور في وقائع الدهور قال ابن عباس رضي الله عنهما: (فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزيد وتراكم الزبد فثارت حشفة بيضاء فصارت ربوة كهينة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد يبعد بقدرة الله تعالى حتى بلغ ما بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الأرض كالكرة الباركة في وسط الماء). وكان (عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ).

الفصل الثاني

ما كان في بـدء المخـلوقات وعرشه على الماء

قـــال تعـــالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ)[1] الحمد لله الذي خلق كل شئ فقدره تقديراً الـذي رفـع فـوق السـماوات عرشـاً شـرجعاً عاليـاً منيفـاً مقببـاً مسـتديراً، وخلـق العـرش العظـيم سـقف المخلوقـات جميعـاً – لـه قـوائم عظـام تحملـه الملائكة الكرام. وتحفة الكربيون عليهم الصلاة والسلام ولهم زجل بالتقديس والتعظيم. وكذا أرجاء السماوات مشحونـة بالملائكة الكرام ويفد منـهم فـي كـل يوم سبعون ألفاً إلي البيت المعمـور من السـابعة إلـى الرابعـة لا يعـودون إليـه وآخر مـا عليـهم فـي تـهليل وتحميـد وتكبيـر وصـلاة وتسـليم ، ووضـع الأرض للأنـام على تيار المـاء الجارف وخلق لـهم من جميـع مـا يحتـاج العبـاد إليـه فـي شتـائهم وصيفـهم . ولمـا كان في ذلك سبق من حكمـة الحكيم وبث فيـهمـا رجـالاً كثيراً ونسـاءً. وجعل منـهم العلمـاء ظل الله في أرضـه الخلفـاء الراشـدين وقسـم الله بقـدره العظـيم الملـوك والرعـاة والفقـراء والأغنيـاء والأحـرار والعبيـد والحرائر والإماء وأسكنهم. الأرض، طولـهـا والعرض، وجعلهم خلائـف فيـها يخلف البعض منـهم البعض، إلى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم.

---

[1] سورة هود – الآية ٧.

روى البخاري في كتاب بدء الخلق عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: " قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم " فحفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. و قال أبو مسعود الدمشقي في أطرفه هكذا قال البخاري. قال ابن كثير في البداية والنهاية وإنما رواه عيسى عنجار عن أبي حمزة عن رقبة، وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده: عن أبو زيد الأنصاري قال قال: " صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى الظهر. ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى العصر. ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان، وما هو كائن فأعلمنا احفظنا" انفرد بإخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن من صحيحه. عن أبي زيد عمرو بن أخطب بن رفاعه الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه. وقال ابن كثير في البداية والنهاية وقال ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور وقال الإمام أحمد بن حنبل عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين لقيط بن عامر العقيلي أنه قال: " يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء." ذكر ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور في صفحة ٣، ذكر العرش قال: " أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أن الله تعالى خلق العرش من نور والكرسي ملتصق بالعرش وحول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ ونهر من نار تلظى ونهر من ثلج أبيض ونهر من ماء والملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون.

ذكر ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور قال ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء ما بين القائمة إلى القائمة مسيرة ثمانين ألف عام واتساعها مثل ذلك. والقوائم تحملها ثمانية من الملائكة، وهو كالقبة على الملائكة والعالم. قال تعالى: (وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾)[1] قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ)[2]

قال تعالى: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾)[3]

وقال ابن كثير في البداية والنهاية قال ذكر الحافظ ابن الحافظ محمد ابن عثمان ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف: " أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما بين قطرية مسيرة خمسين ألف سنة".

[1] سورة الحاقة – ١٧.

[2] سورة غافر – ٧.

[3] سورة المؤمنون– ١١٦

الفصل الثالث - أما الجنة

قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾)[1]

قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية قال رسول الله ﷺ :" إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة و أعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة. رواه مسلم عن محمد بن فليح عن أبيه. قال تعالى: (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾)[2] قال تعالى: (وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾)[3] قال تعالى: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)[4] قال ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول صفحة ٩، وقد جاء في بعض الآثار (أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه، وما ذاك إلا لقرب المومنين منه."

---

[1] سورة الكهف – الآية ١٠٧

[2] سورة الإنسان – الآية ٦.

[3] سورة آل عمران – الآية ١٣٣.

[4] سورة يونس – ٢٦

قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾)[1]

قال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾)[2]

قال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية، قال البخاري عن أبي هريرة أخبر رسول الله ﷺ: " أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم. فيؤذن الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم عرشه ويتبدى لهم روضة من رياض الجنة." وروى الإمام مسلم في صحيحه حديث رقم ٢٨٢٢ عن أنس بن مالك. قال: قال ﷺ: " حفت الجنة بالمكاره. وحفت النار بالشهوات." وأخرجه البخاري في ٨١ كتاب الرقاق ٢٨ باب حجبت النار بالشهوات. قال الإمام النووي: (قال العلماء هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره وإلى النار بارتكاب الشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما.

---

[1] سورة النحل – الآية ٩٧

[2] سورة التوبة – الآية ٧٢

فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب ، فهتك الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها، والصبر على مشقتها وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسئ والصبر على الشهوات ونحو ذلك. " وحفت النار بالشهوات"، فالظاهر أنها الشهوات. فالناجون في الجنة والجنة تحت عرش الرحمن والكرسي ملتصق بالعرش وأهل الجنة يسمعون أطيط العرش.

الفصل الرابع – أما الكرسي

قال تعالى: (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)[1]

روي الطبراني عن أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسي فقال رسول الله ﷺ :" والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش علي الكرسي كفضل الفلاة علي تلك الحلقة ، أما الكرسي ذكره الحاكم في مستدركه. عن ابن عباس أنه قال " الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل " أي المعني: فضل العرش عظيم علي الكرسي والكرسي كحلقة ملقاة في ساق العرش مثل السموات كحلقة ملقاة في ساق الكرسي ومثل الحلقة ملقاة في صحراء والعرش لا يقدر فهو كبير وعظيم ولا يقدر قدره إلا الله.

قال تعالى: (فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ)[2].

وقال ابن كثير في كتابه وفي البداية والنهاية فى الجزء الأول بدء الخلق . ورو ابن جرير قال حدثني يونس حدثنا ابن وهب قال ابن زيد حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ " ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس.

---

[1] سورة البقرة – ٢٥٥ آية الكرسي.

[2] سورة المؤمنون– ١١٦.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ١. في الجزء الأول: وقال ابن جرير عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض." وقال ابن كثير روى الأشجع بن مخلد الفلاس في تفسير عن ابن جرير عن ابن عباس وقال السدي الكبير عن أبي مالك: " الكرسي تحت العرش وقال ابن كثير قال السدي الكبير السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش." وقال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ١. في الجزء الأول روى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال: " لو أن السموات السبع والأراضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كان في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة."[1]
فنقول وبالله التوفيق الحمد لله المبدء المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد وأنه مستوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن الممارسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش ولا الكرسي. بل العرش والكرسي والسموات والأرض وحملة العرش محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضة المتعال وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر، بل في قبضته وملك يمينه وتحت إرادته. فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له مربوب أي مملوك مدبر ، مكون بعد أن لم يكن محدث بعد عدمه.[2]

---

[1] والمفازة: الأرض الوعرة.

[2] ذكر في البداية والنهاية لابن كثير

قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١) [1]

فالعرش الذي هو سقف المخلوقات إلى ما تحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وناطق ومتحرك وساكن وما غاب وما حضر الكل يشهد بجلاله.

ذكرفى تفسيرالجلالين وابن كثير وقال ابن جرير في تاريخه عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله عز وجل وكان عرشه على أي شيء كان الماء قال ابن عباس : قال على متن الريح وقال والسموات والأرضون وكل ما فيهن من شيء تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل فيما قيل الكرسي " وقاله ابن كثير وروى عن وهب ابن منبه نحوه ، وفسر وهب الهيكل فقال شيء من أطراف السموات ويحدق بالأرضين والبحار كإطناب الفسطاط : أي حبال طويلة تشد بها سرادق البيوت.

قال تعالى: (وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧) [2]

روى الإمام مسلم في صحيحه الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء) قالوا فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير. وقد دل هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش، فثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير. ويحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم.

---

[1] سورة الشورى – ١١

[2] سورة الحاقة – ١٧.

ويؤيد هذا ما روى البخاري عن عمران بن حصين: دخل على رسول الله ﷺ ناس من أهل اليمن فقال أقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا أقبلنا يا رسول الله، قالوا: (جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر فقال: كان الله ولم يكن شئ قبله. وفي رواية معه، وفي رواية غيره، وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شئ وخلق السموات والأرض) وفي لفظ: ثم خلق السموات والأرض. فسألوه عن ابتداء خلق السموات والأرض. ولهذا قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فأجابهم عما سألوا فقط. ولهذا لم يخبرهم بخلق العرش كما أخبر به في حديث أبي رزين المتقدم. قال ابن جرير وقال آخرون (بل خلق الله عز وجل الماء قبل العرش). قال ابن كثير ورواه السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وقال أبن كثير عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: (إن الله كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء) قال ابن كثيرعن ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه قال: (أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً، قال ابن جرير وقد قيل (إن الذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي. ثم خلق بعد الكرسي العرش. ثم خلق بعد ذلك الهواء والظلمة. ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء.) والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الخامس

في ذكر القلم واللوح المحفوظ

قال تعالى:(وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾)[1]

قال تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾)[2] الحمد لله الذي أنشأ الوجود من العدم وقدر ما كان قبل أن يكون في اللوح والقلم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهلا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم. قال الإمام مسلم في صحيحه حديثاً رقم ٢٦٥٣ عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء).

قال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾)

---

[1] سورة النمل – الآية ٧٥

[2] سورة الحج – الآية ٧

ذكر ابن إياس في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور صفحة ٣، قال: روى الترمذي عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : أن أول شئ خلقه الله تعالى القلم من نور. قال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾)[١] قال ابن إياس الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما : خلق الله القلم قبل أن يخلق السموات والأرض وهو على العرش ثم نظر إليه نظرة الهيبة فانشق (وقطر منه المداد) وقال ابن عباس إن القلم مشقوق ينبع منه المداد إلي يوم القيامة ثم قال الله للقلم اكتب فقال القلم يا رب وما اكتب قال اكتب علمي في خلقي بما هو كائن إلي يوم القيامة قال ابن إياس وأصح ما قاله ابن عباس رضي الله عنه إن القلم جرى في تلك الساعة بما هو كائن إلي يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاء قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾)[٢]

وقال ابن إياس الحنفي عن ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : إن لله لوحاً أحد وجهيه من ياقوته حمراء والوجه الأخر من زمردة خضراء وأقلامه نور. رواه أبن أبي حاتم في تفسيره. وقال ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفاحتها من ياقوته حمراء ، قلمه نور وكتابه نور لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحي ويعز ويزل ويفعل ما يشاء رواه أبو القاسم الطبراني.

---

[١] سورة يس – الآية١٢

[٢] سورة لقمان – الآية ٢٧

قال تعالى: (نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١)[1] وقال ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول: قال اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : " إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة" قال أبن كثير عن أبن عباس قال : واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوته حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك" وقال ابن كثير وقال أنس بن مالك ، وغيره من السلف " اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل " وقال ابن كثير وذكر محمد بن الحسن النقاش أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ حكاه أبو القاسم السهيلي في كتابه" التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الإعلام.

روي الامام مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله ﷺ (بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور) وفي رواية أبي بكر النار لو كشفه لا أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" وفي صحيح مسلم ٢٩٣ وفي كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وفي مختصر مسلم باب ١١ " الحث على النفقة ". وروي مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ (إن الله قال لي انفق أنفق عليك)

---

[1] سورة القلم – الآيه ١

وقال رسول الله ﷺ (يمين الله ملأى لا يغيضها سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه) قال (وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض) رواه مسلم عن أبي هريرة.

قال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢)[1] قال تعالى: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١)[2].

وقال ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور (روى الترمذي عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: قال ﷺ (أن أول شئ خلقه الله تعالى القلم من نور). وقال: روى الترمذي عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال (ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الأحمر وطوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المشرق إلى المغرب). قال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ) "

روى الإمام في صحيحه في مختصر صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (اللهم! رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم. ربنا ورب كل شئ.

---

[1] سورة يس – الآية ١٢.

[2] سورة فاطر – الآية ١١.

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ)[1] قال تعالى:(أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)[2] قال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾).[3] قال تعالى: (الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾)[4].

---

[1] سورة هود – الآية ٧

[2] سورة العنكبوت – ١٩ ، ٢٠

[3] سورة البقرة – الآية ٢٩.

[4] سورة يونس ، الآيات ١ – ٣

قـــال تعـــالى:(وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾)[1]، وقـــال تعـــالى: (ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾)[2].

وقال ابن إياس الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح جميعها أن تثور فثارت حتى هيجت المياه وأثارت الأمواج فسارت تضرب بعضها ببعض فلم تزل الرياح تضرب بالماء حتى أزيد وتراكم الزبد فسار معه حشفه بيضاء فصارت ربوة كهيئة التل العظيم فجعل الماء يقل والزبد يبعد بقدرة الله تعالى حتى بلغ ما بلغ وأحدق الماء من حوله فصارت الأرض كالكرة الباركة في الماء وقال أيضاً ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور في وقائع الدهور قال وهب ابن منبه (لما خلق الله تعالى الأرض كانت طبقة واحدة ففتقها فصيرها سبعاً كما فعل بالسماء وجعل بين الطبقة والطبقة كما بين السماء والأرض).

---

[1] سورة الذاريات، الآيتان ٤٧، ٤٨

[2] سورة النازعات، الآيات ٢٧ – ٣٣.

الفصل السادس
ذكر ما ورد في خلق السموات والأرض

الحمد لله الذي وضع الأراضين على تيار الماء الجارف. وقدر ما كان فيها من أقدار وأقوات رزقاً للعباد في أربعة أيام قبل خلق السماء، وأثبت فيها من كل شئ زوجين دلالة للألباء من جميع ما يحتاج العباد. ورفع السماء بغير عمد ترونها وخلق كل شئ فقدره تقديراً وزينها بالكواكب الزاهرات. وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

قال ابن كثير صفحة ١. ـ عن ابن عباس عن شعر أمية ابن أبي الصلت في العرش قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهل. ربنا في السماء أمسى كبيراً.
بالبناء العاليى الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريراً.
شرجعاً لا يناله بصر العيـ ـن ترى حوله الملائكة صوراً

قال رسول اللهﷺ: "إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته ولا يخفى على الله من أعمال بني آدم شئ". رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي حسنه، وقال أبو داود وقال وهب ابن جرير عن مطعم عن أبيه عن جده عن النبيﷺ. وروى ابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال:(قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى: قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله) ذكره الإمام محمد عبد الوهاب في كتاب التوحيد بتمامه هكذا

وفي كتاب التوحيد ذكر محمد ابن عبد الوهاب حديثاً، وقال: قال الترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة). ذكر الدكتور محمد عبد الله العفيفي في الجزء ٥/١ في كتاب وصايا الرسول: روى الترمزي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصاً إلا فتحت له أبواب الجنة حتى يفضى إلى العرش ما اجتنبت

الكبائر". حسن صحيح وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾)[١]

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: " خلق الله التربة يوم السبت".

---

[١] سورة الحج – الآية ١٨

بخار الماء الذي جعل فيه كل شئ حي ذكر الإمام الحافظ أبي الفضل أحمد علي بن حجر العسقلاني ذكر في كتاب ٦٥ كتاب التفسير – باب ما جاء في فاتحة الكتاب جـ ١. ص ٧ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قال: سميت أم الكتاب لأن أم الشئ ابتداؤه وأصله، ومنه سميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها.

قال تعالى: (ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾)

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[1]

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: " خلق الله التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاث وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة وآخره بعد العصر ما بين العصر والليل." وهكذا رواه مسلم وفي رواية في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة ما بين العصر والليل. ورواه الإمام احمد بن حنبل عن أم سلمة عن أبي هريرة.

[1] سورة هود – الآية ٧

قال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾)[1] قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾)[2] قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾)[3]

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، كما قال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب الرسول ﷺ ورضي الله عنهم قال أن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق فأخرج من الماء دخاناً فأرتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين " الأحد والأثنين" وخلق الأرض وجعل فيها الأقوات والأرزاق فاضطربت فتزلزت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت ، وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع.

---

[1] سورة يوسف – الآية ١٠٥

[2] سورة الأنبياء – الآية ٣٠، ٣١

[3] سورة الأحقاف – الآية ٣٣.

وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وفتق السماء وكانتا رتقا فجعلها سبع سموات في يومين " الخميس والجمعة" وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى في كل سماء أمرها. قال تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾)[1]

ذكر القرآن العظيم الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين من دخان: وهو بخار الماء الذي ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذي خلق من ربزة الأرض " أي: الشدة" بالقدرة العظيمة البالغة.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾)[2]

---

[1] سورة فصلت . الآيات ٩ – ١١

[2] سورة البقرة – الآية ٢١، ٢٢.

شرع الله تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وأنشأ لهم الجود وقدر ما كان قبل أن يكون وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشاً أي مهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾)[1] وأنزل لهم من السماء ماء والمراد به السحاب في وقته عند احتياجهم إليه فأخرج به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقاً لهم ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع في القرآن الكريم وأحسن صوركم وأنه هو الخالق أحسن الدار وساكنيها ورازقهم من الطيبات فبهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

قال تعالى: (أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾)[2] قال الإمام أحمد بن حنبل، حدثنا عبد الرزاق حدثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد، حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ " أتدرون ما هذا؟ قال: قلنا: السحاب. قال: والمزن. (المزن أي: السحاب الأبيض)، قال قلنا والمزن قال والعنان (أي: السحاب) قال: فسكتنا، فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض، قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

---

[1] سورة الأنبياء – الآية ٣٢.

[2] سورة ق – الآية ٦

قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه، كما بين السماء والأرض. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض.

والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شئ " هذا لفظ الإمام أحمد. ورواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث سماك بإسناده نحوه.

قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾)[1]،

قال تعالى:(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾)[2]، قال تعالى: (أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾)[3] وفي تفسير المصحف الميسر للشيخ محمد السيد طنطاوي عن قوله تعالى: (فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ)أي: بل هم قوم يتركون عبادة الله إلى عبادة غيره.

---

[1] سورة يونس ، الآيات ٣ – ١٠

[2] سورة الأنعام – الآية ١

[3] سورة النمل – الآية ٦٠

قـال تعـالى: (أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا) أي: مسـتقراً عليـه. انتهـى.

وقـال تعالى: (وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾) أي: ومـن يرسـل الريـاح لتكـون مبشرات بقرب نزول المطر. وقال تعالى: (قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ). قـال تعـالى: (لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾)[1]

أكمل الله عز وجل خلق العالم السفلي والعالم العلوي. خلق الله السموات وعظمة اتساعها وارتفاعها وأنها في غاية الحسن والبهاء والكمال وليس بها شروخ ولا عيوب. وقال تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾)[2]

---

[1] سورة الحج – الآية ٦٤.

[2] سورة الأنبياء . الآيات ٣٠ – ٣٣

وهذا الكلام يعلمنا الأدب مع الله عز وجل وراد على الذين قالوا الراحة يوم السبت. ونحن نورد ما نورده من ذكر كبار المتقدمين الأئمة عنهم ، ثم نتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة. وهذا الحديث يعلمنا أيضاً الصبر والحديث ذكر منه سبعة أيام الأسبوع كاملاً لم ينقص منه يوم وذكر خلق السموات والأرض وللبخاري ومسلم والإمام احمد بن حنبل رداً على الذين قالوا السبت راحة بعد الستة أيام من خلق السموات والأرض.

والله رد عليهم وكذبهم في القرآن الكريم. قال تعالى (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ)[1] أي: تعب قال تعالى (خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ)[2].

وهذا خلق الله . فيجب الأدب مع الخالق فهو القادر وحده يوجه الله تعالي عقول عباده إلي النظر السليم في محكم نظامه في مخلوقاته وما فيها من دلالاته الواضحة على واسع علمه وعظيم قدرته ووحدانيته مما يحملهم على الإقرار بما هم منغمسون فيه من فضله وسابغ نعمه ليعبدوه ويشكروه . فيذكرهم بما يأتي أخبروني أيها العقلاء ماذا كنتم فاعلين لو أن الله تعالي جعل عليكم الليل بظلامه دائماً لا ضياء فيه ؟ كيف تسعون على أرزاقكم وتشكروه على نعمائه وبهذا تمام الصبر على المداومة في العمل وإتقانه وحسابه وحسن الطاعة والمداومة عليها بالصبر.

---

[1] سورة ق – الآية ٣٨.

[2] سورة الأحقاف – الآية ٣٣.

قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾)[1]

قال تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾)[2]

---

[1] سورة لقمان – الآيات ٨ – ١١.

[2] سورة فصلت – الآيات ٩–١٢.

قـــال تعـــالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاً ۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾)[1]

وفي غير ما آية من القرآن الكريم ذكر ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول صفحة ١٣ قال وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة أيام على قولين، فالجمهور على أنها كأيامنا هذه وعن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وكعب الأحبار: أن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون. رواهن ابن جرير، وابن أبي حاتم. واختار هذا القول: الإمام أحمد ابن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية وابن جرير.

وذكر ابن كثير قال: روى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم، وغيره أن أسماء الأيام الستة " ابجد. هوز. حطي. كلمن. سعفص. قرشت" وقال ابن كثير: وحكى ابن جرير في أول الأيام ثلاثة أقوال فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال: " يقول أهل التوراة ابتدأ الله الخلق يوم الأحد، ويقول أهل الإنجيل: ابتدأ الله الخلق يوم الاثنين. ونقول نحن المسلمين فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ : ابتدأ الخلق يوم السبت، وهذا القول الذي حكاه ابن كثير عن ابن إسحاق عن المسلمين وقال مال إليه طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم.

---

[1] سورة هود – الآية ٧.

فتق الله الأرض في يومين الأحد والاثنين، وخلق الجبال وقدر الأقوات في يومين الثلاثاء والأربعاء وبذلك أربعة أيام وخلق السموات في يومين الخميس والجمعة، فلما خلق الأرض والسموات في ستة أيام ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فصل بينهما مسيرة خمسمائة عام. وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.[2]

ولما فصل بين السماء والأرض هبت الرياح ونزلت الأمطار وبثت الدواب وكثر الزروع وانتعش الحيوان وأنبت من كل زوجين اثنين دلالة للألباء من جميع ما يحتاج العباد إليه في شتائهم وصيفهم وفي الربيع والخريف ولكل ما يحتاجونه ويملكونه من حيوان بهيم.

---

[1] سورة الروم – الآية ٤٦

[2] سورة الروم – الآية ٤٨.

كما قال تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾)[1] وقوله تعالى: (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾)[2]

قال ابن كثير في تفسيره: (بأيدٍ) أي: بقوة الاضطراب صعد بخار الماء وسما واتسع وأعلاه وارتفع وقال (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وذلك أن ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التي تحتها وأعلى من السموات وأوسع منهن كلهن العرش وأعلى، وأكبر بكثير وأعظم. والله المهيمن وهو على كل شئ قدير. وقال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾)[3]

وقال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾)[4]

---

[1] سورة فصلت – الآية ١٠.

[2] سورة الذاريات ، الآيات ٤٧ – ٤٩.

[3] سورة المؤمنون – الآية ١٨

[4] سورة البقرة – الآية ٢٩.

قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾)[1] وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾)[2]

وقال الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي في المصحف الميسر في المعنى لقوله تعالى (إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ)، أي: بدء الخلق وإماتته وإعادته إلى الحياة شئ يسير على الله تعالى. وقال تعالى:(وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ)[3]، أي: وما أنتم أيها الناس – بقادرين على الهروب من عذاب الله – تعالى – أو من حسابه، سواء كنتم في الأرض أم في السماء. انتهى.

---

[1] سورة الأنبياء ، الآيات ٣٠-٣٣.

[2] سورة العنكبوت – الآية ١٩

[3] سورة العنكبوت – الآية ٢٢

الفصل السابع

ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيهن من الآيات

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[1]

قال ابن كثير وقال الإمام أحمد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ مرت سحابة فقال: (أتدرون ما هذه ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: العنان وزوايا الأرض تسوقه إلى من لا يشكرونه من عباده ولا يدعونه. أتدرون ما هذه فوقكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم: قال الرفيع موج مكفوف وسقف محفوظ أتدرون كم بينكم وبينها؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: مسيرة خمسمائة سنة. ثم قال: أتدرون ما الذي فوقها؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: مسيرة خمسمائة سنة. حتى عد سبع سموات. ثم قال: أتدرون ما فوق ذلك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: العرش. أتدرون كم بينه وبين السماء السابعة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: مسيرة خمسمائة عام. ثم قال: أتدرون ما هذه تحتكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: أرض. أتدرون ما تحتها؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أراضين. ثم قال: وأيم الله لو دليتم أحدكم إلى الأرض السفلى السابعة لهبط. ثم قرأ قوله تعالى: (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾)[1].

---

[1] سورة البقرة – الآية ٢٩.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، وعن يونس ابن محمد المؤدب عن شيبان عن عبد الرحمن عن قتادة وقد تقدم عند صفة العرش من حديث الأوعال وهذا في ارتفاع العرش عن السماء السابعة ما يشهد له. وفيه بعد ما بين كل سماء وإلى سماء خمسمائة عام، وكثفها أي سمكها خمسمائة عام. والله عليم بعباده. قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ فليقرأ قوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ)[2].

وقال تعالى: (وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ)[3].

وقال البخاري ومسلم في صحيحيهما عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا) أخرجاه في الصحيحين وفيه مسائل: الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس. الثانية: أن العبادة هي التوحيد: لأن الخصومة فيه ومن أجله جاءت الرسل على التوحيد بقول: لا إله إلا الله. الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله.

---

[1] سورة الحديد – الآية ٣.

[2] سورة الأنعام – الآية ١٥٣

[3] سورة الذاريات – الآية ٥٦.

ففيه معنى قوله تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾[1]. الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل جاءت لتعلن كلمة التوحيد وخاتمهم محمد رسول الله ﷺ أعلنها وأعلنتها الصحابة وأمة الإسلام. الخامسة: أن الرسالة عمت كل أمة. السادسة: أن دين الأنبياء – أكثر من مائة ألف نبي كلهم على التوحيد ودينهم واحد. السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[2] الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[3] التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾[4]

---

[1] سورة الكافرون – الآيات ٢ – ٦.

[2] سورة البقرة – الآية ٢٥٦

[3] سورة الأعراف – الآية ١٩ .

[4] سورة فصلت – الآية ٣٤

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله تعالى: (لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾).[1] ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله تعالى: (ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ)[2] الحادي عشرة: آية سورة النساء التي تسمي آية الحقوق العشرة. بدأها الله تعالى بقوله: (وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا).[3] الثانية عشرة: التنبية على وصية رسول الله ﷺ عند الموت. الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا، أن يعبدوه ولا يشركوا به شئ. الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه، ألا يعذب من لا يشرك به شئ. الخامسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة. والاستمرار على طاعة الله والزيادة في عمل الخيرات والإصلاح في الأرض. أي بالصبر على العبادة وعلى عمل الخير والمداومة عليه بالصبر والشكر على الدوام ولذلك بدء بخلق الأرض و السموات ليعلم خلقه التثبيت والصبر على العبادات والشكرعلى النعماء لله وحده لشريك له.

السادسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصاحبة. فأراد أن يبلغ الناس من فرحته معاذ وحبه لهذه المسأله. السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره. الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله والله يريد الإصلاح في الأرض وعمرانها والحمد والسعي والشكر لله وحده لا شريك له؛ لأن المؤمنين من هذه الأمة ظل الله في أرضه، فالأفضل لهم زيادة الخير وألا يتكلوا.

---

[1] سورة الإسراء – الآية ٢٢.

[2] سورة الإسراء – الآية ٣٩

[3] سورة النساء – الآية ٣٦

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: والله ورسوله أعلم، قال تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾)[1] العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض، لأن رسول الله ﷺ يعلم بأن معاذ فقيه الأمه فعرفه دون غيره لأن العلماء ورثة الأنبياء. ولذلك ميز العلماء. وأيضاً فيه مسائل.

الأولى: سعة فضل الله. الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب. الرابعة: قوله تعالى (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾)[2] أي: لم يخلطوا إيمانهم. الخامسة والسادسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول (لا إله إلا الله) وتبين الغرورين. السابعة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله. الثامنة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه. التاسعة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات، وكلمة (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) سبع كلمات فمن أجل السبعة ، خلق السبع سموات والسبع أراضي، وأمر الإنسان أن يسجد لله على سبع مواضع، وفي كل شئ خلقه له فيه آية تدل على أنه واحد. العاشرة: أن لهن عماراً، هم أهل التوحيد.

---

[1] سورة النحل – الآية ١٠٢.

[2] سورة الأنعام – الآية ٨٢.

الحادي عشر: في الصحيح حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله عز وجل. ونذكرها هنا وما يتعلق بخلق السموات والأرض وما فيهن من الآيات وفيه مسائل. قال ابن كثير، وقال الإمام محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، وعن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وما بين كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وبين السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شئ من أعمال بني آدم.)

أخرجه أبو داود وغيره. وفيه مسائل: الأولى: تفسير قوله: (وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)[1] قال تعالى: (۝٩٠ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ)[2]. والمعنى في كتاب الميسر تفسير القرآن الكريم للإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي وفي معنى الآية قال: أي: وما عظموه حق تعظيمه. قال تعالى: (وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)[3]- أي: والأرض بكاملها تحت قدرته وملكه.

---

[1] سورة الزمر – الآية ٦٧.

[2] سورة الأنعام – الآية ٩١

[3] سورة الزمر – الآية ٦٧

قال تعالى:(وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ)[1] - أي: والسموات مجموعات تحت قدرته كما يجمع الكتاب المطوي. الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها. الثالثة: أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ، صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك. الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ، لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم. الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السموات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى. السادسة: التصريح بتسميتها الشمال. السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك. الثامنة: قوله: (كخردلة في كف أحدكم). التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السموات. وفي قوله ﷺ لأبي ذر: (ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاه من الأرض) وقوله ﷺ (ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) ورواه ابن جرير: قال حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال رسول الله ﷺ وذكره ابن كثير وذكره محمد بن عبد الوهاب في التوحيد بتمامه. العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي. الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء. الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء. الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي. الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء. الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء. السادسة عشرة: أن الله فوق العرش. السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض. الثامنة عشرة: كثف كل سماء إلى سما ء مسيرة خمسمائة عام. التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه واسفله مسيرة خمسمائة عام. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

[1] سورة الزمر –الآية ٦٧

وفي كتاب التوحيد للإمام محمد ابن عبد الوهاب وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجزه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ:(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ).

وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على اصبع، ثم يهزهن فيقول: انا الملك، أنا الله. وفي رواية للبخاري: يجعل السموات على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع) أخرجاه. البخارى مسلم عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ (يطوي الله السموات يوم القيام، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ وفي كتاب التوحيد قال الإمام محمد ابن عبد الوهاب وروى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ، وقال محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد وعن ابن مسعود قال: (بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسما ئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء.

والله فوق العرش لا يخفى عليه من أعمال بني آدم شئ). أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمة الله تعالى، قال: وله طرق. وفي اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان قال محمد فؤاد في باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه. عن البخاري ومسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده ، فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي).

وأخرجه البخاري في: ٥٩ – كتاب بدء الخلق. ١- باب ما جاء في قول الله تعالى (وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ)[1].

وشرحه الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي في اللؤلؤ والمرجان، قال: لما قضى الله الخلق: أي خلق الخلق، كقوله تعالى: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ)[2]. أو المراد أوجد جنسه وقضى بطلق بمعنى حكم وأتقن وأفرغ وأمضى. كتب في كتابه: أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ . فهو عنده فوق العرش: قيل معناه دون العرش. قال (أن رحمتي غلبت غضبي) العباد منغمسون في الذنوب والمعاصي ، والله بعباده رحيم.

وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم عن عبد الله ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خالقك."

وقال تعالى: (فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾)[1]

---

[1] سورة الروم – الآية ٢٧.

[2] سورة فصلت – الآية ١٢

قال تعالى: (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ)[2] وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له وقد ذكر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم صفحة ٥٩ وقال وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الأولى فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه كما قال بعض الأعراب، وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وارض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

قوله تعالى: (وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا)[3]. وقال تعالى: (فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا).[4]

أما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها: أولاً: معرفة العبد لربه ودينه ونبيه محمد ﷺ. ثانياً: معرفة دين الإسلام وسماحته وأنه خاتم الأديان الذي ارتضاه الله لعباده ولا يرضى لعباده غير دين الإسلام.

---

[1] سورة البقرة – الآية ٢٢

[2] سورة النساء – الآية ٣٦

[3] سورة النساء – الآية ٣٦

[4] سورة البقرة – الآية ٢٢

فمن تركه فهو الخسران، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[1].

ثالثاً: معرفة نبيه محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وإمامهم الذي أنزلَ عليه القرآن الخاتم المهيمن ونطقه بلسان عربي يخاطب به ملكات خفية في النفس البشرية نطق به رسول الإنسانية ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[2]. قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[3]، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[4]

وإذا قيل كيف عرفت ربك فقل: بآياته ومخلوقاته.

---

[1] سورة المائدة – الآية ٣

[2] سورة يوسف – الآية ٢.

[3] سورة النور – الآية ٥٤.

[4] سورة الفرقان – الآيتان ١، ٢.

قال تعالى: (وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾)[1] ومن عظمة التوحيد الإيمان بالله وقد قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾).[2]

---

[1] سورة فصلت – الآية ٣٧.

[2] سورة الأعراف – الآية ٥٤.

الإيمان بالله تعالى

خلق الله الأرض وما أودع فيها من معادن مختلفة الألوان والمنافع، وما أجرى فيها من أنهار، وما أحاط يابسها بأبحار، وما أنبت فيها من نباتٍ وأشجارٍ تختلف ثمارها، وتتباين أنواعها وطعومها وروائحها، وخصائصها وفوائدها.

وفي كتاب منهاج المسلم، ذكر الشيخ جابر الجزائري فقال: وجود كلامه عز وجلّ بين أيدينا نقرؤه ونتدبره، ونفهم معانيه، فهو دليل على وجوده عزّ وجلّ ؛ لأنه يستحيل كلام بلا متكلم، ولا قول بدون قائل). وقال الإمام الشعراوى فى كتا ب معجزة القرآن: (فهو كلام يخاطب به الله ملكات خفية في النفس البشرية نحن لا نعرفها، ويعرفها الله عز وجل).

وقال الشيخ جابر الجزائري في كتا ب منهاج مسلم: (فكلامه تعالى دال على وجوده، ولا سيما، وأن كلامه تعالى قد اشتمل على أمتن تشريع عرفه الناس، وأحكم قانون حقق الخير الكثير للبشرية، كما اشتمل على أصدق النظريات العلمية، وعلى الكثير من الأمور الغيبية، والحوادث التاريخية، وكان صادقاً في كل ذلك أيَما صدق، فلم يقصر على طول الزمان حكم من أحكام شرائعه عن تحقيق فوائده، مهما اختلف الزمان والمكان، ولم تنتقض فيه أدنى نظرية من تلك النظريات العلمية، ولم يتخلف فيه غيب واحد مما اخبر به من الأمور الغيبية. كما أنه لم يجرؤ مؤرخ كائناً من كان، على أن ينقض قصة من القصص العديدة التي ذكرها فيكذبها، أو يقوى على تكذيب أو نفي حادثةٌ من الحوادث التاريخية التي أشار إليها أو فصّلها.

فمثل هذا الكلام الحكيم الصادق يحيل العقل البشريِ أن ينسبه إلى أحدٍ من البشر،إذ هو فوق طوق البشر، ومستوى معارفهم.

وإذا بطل أن يكون كلام بشر، فهو كلام خالق البشر، وهو دليل وجوده تعالى وعلمه وقدرته وحكمته. ووجود هذا النظام الدقيق المتمثل في هذه السنن الكونية في الخلق والتكوين، والتنشئة والتطوير لسائر الكائنات الحية في هذه الوجود، فإن جميعها خاضع لهذه السنن، متقيد بها لا يستطيع الخروج عنها بحال من الأحوال. فالإنسان مثلاً يُعلق نطفة في الرحم ثم تمر به أطوار عجيبة لا دخل لأحدٍ غير الله فيها يخرج بعدها بشراً سوياً، هذا في خلقه وتكوينه، وكذلك الحال في تنشئته وتطويره، فمن صبا وطفولة، إلى شباب وفتوة، إلى كهولة وشيخوخة.

وهذه السنن العامة في الإنسان والحيوان هي نفسها في الأشجار والنباتات، ومثلها الأفلاك العلوية والأجرام السماوية، فإنها جميعاً خاضعة لما ربطت به من سنن لا تحيد عنها، ولا تخرج عن سلكها، ولو حدث أن انفرط سلكها، أو خرجت مجموعة من الكواكب عن مداراتها لخرب العالم، وانتهى شأن هذه الحياة. فعلى الرغم من أن كوكب الأرض يبدو لنا جسيماً هائلا عظيم الأبعاد، فسيح السطح، فإنه من واقع الأمر ليس إلا فرداً متواضعاً من أفراد النظام الشمسي للمجموعة الشمسية، وفي الوقت نفسه فإن الشمس ذلك النجم الأعظم الذي تتمركز حول كل هذه المجموعة فإنها وما يتبعها من كواكب سيارة وتوابع مماثلة من أقمار ، ليست سوى إحدى المجموعات النجمية أو المجرات التي لا تحصى والتي يذخر بها فضاء الكون المتسع الرحيب. والكل لا يحيد عن مداره وممتثل لأوامر الله.

الفصل الثامن
تحـاط الدنيا بماء المحيطات والبحـار
وماؤه راكد مالح مُر

الحمد لله الذي سخر البحار وشق الأنهار في سائر الأقطار ، تشق الأقاليم إلى الأمصار ما بين صغار وكبار على مقدار الحاجات والأوطار "أي: الحاجة" وأنبع العيون والآبار: وأرسل الأمطار على الأرض فأنبت صنوف الزروع والثمار رزقاً للعباد ويسر السبيل وجعل في البحار اللحم الطري والصدف ولؤلؤ فلا تكذب وتنكر نعمة من نعم الله تعالى فلله الحمد والشكر وآتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم فالسعيد من شكر وقابل الأحبار بالتصديق والتسليم. والأوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم. من اغتسل وتوضأ وصلى لله وشكر الله على النعم وكان من أعظم النعم الماء الذي خلق الله من أجل العبادات فزحزح المستغفرين التأبين عن مقام المكذبين، والمكذبين في الجحيم ذات الزقوم، والعذاب الأليم. أحمده حمداً مباركاً فيه يملأ أرجاء السموات والأرضين، دائماً على نعمانه في كل وقت وحين. كما ينبغي لجلاله العظيم. وسلطانه القديم ووجهه الكريم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد له ولا والد له ولا صاحبة له، ولا نظير ولا وزير له ولا مشير له ، ولا عديد ولا نديد له ولا قسيم. وأشهد أن محمد عبده ورسوله وحبيبه ﷺ. اقتضت الحكمة البالغة والعناية الإلهية فأحاط يابس أرض الدنيا بالماء.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾)[1] وقال تعالى:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾)[2]

ومن نعم الله تعالى على عباده إن كف شر البحر عن أن يطغى وسخره لهم، يحمل مراكبهم ليبلغوا عليها إلى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه في السماء والأرض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرهم وبما خلق لهم فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التي لا توجد إلا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتتها، كما قال تعالى:

(أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ)[3]، ولما سئل النبي ﷺ قال: " هو الطهور ماؤه الحِــل ميتته". رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

---

[1] سورة البقرة – الآية ٢١، ٢٢.

[2] سورة الحج – الآية ٦٥.

[3] سورة المائدة – الآية ٩٦.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾)[1] قال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٌ وَمِنۡهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾)[2] قال تعالى: (إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾)[3] قال تعالى: (وَمَا يَسۡتَوِى ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأۡكُلُونَ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾)[4]

---

[1] سورة النحل – الآية ١٤

[2] سورة النحل – الآيتان ١١، ١٢

[3] سورة البقرة – الآية ١٦٤

[4] سورة فاطر – الآية ١٢.

فامتن الله على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار، فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبت منه في جوانبها الجميع مالح الطعم ، مُر. وفي هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء ؛ إذ لو كان حلواً لأنتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات فكان يؤدي إلى تفاني بني آدم ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة.

ولهذا لما سُئل رسول الله ﷺ عن البحر قال: " هو الطهور ماؤه الحِل ميتته. أما الأنهار فماؤها حلو عذب فرات سائغ شرابها لمن أراد ذلك. وجعلها جارية سارحة ينبعها تعالى في أرض ويسوقها إلى أخرى رزقاً للعباد. ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة. وقد تكلم أصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار الكبار وأصول منابعها وإلى أين ينتهي سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة.

قال تعالى: "(وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾
وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾)[1]

كل هذه النعم التي لا تحصى ولا تعد (لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[2]، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)[3] قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا)[4]. وقال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾)[5] فالمراد بالبحرين البحر المالح المُر وهو الأجاج والبحر العذب وهو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد. وقال ابن كثير وابن إياس الحنفي. الدنيا تحاط بماء المحيطات والبحار وماؤهما راكد مالح مُر، إذ لو كان حلو لأنتن جو الهواء وفسد بسبب ما يموت فيه من الحيوانات، فكان ذلك يؤدي إلى تفاني البشر، ولكن أقضت حكمة الله البالغة. بخار ماء المحيطات والبحار ماؤها مالح مُر ليطهر جؤ الهواء وينقيه ويجعله الله صالح لحياة الإنسان خليفة الله وظل الله في أرضه.

---

[1] سورة النحل، الآيات ١٤ – ١٨

[2] سورة الحج – الآية ١٦٤

[3] سورة النحل – الآية ١٤.

[4] سورة الفرقان – الآية ٥٣.

[5] سورة الرحمن، الآيتان ٢٠، ٢١.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

وذكر ابن كثير في كتابة البداية والنهاية في الجزء الأول في صفحة ٣٥ قال: قال الإمام أحمد ابن حنبل عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " قال ربكم لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد، فاذكر الله فإنه لا يصيب ذاكراً." وقال ابن كثير روى مالك عن عبد الله ابن عمر أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال (سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) ويقول: " إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض." ذكر في كتاب البداية والنهاية لابن كثير. رواه عن مالك عن عبد الله ابن عمر. ومن رحمته يخرج من جبال الثلج من فوق هذا السحاب المتراكم من جهة السماء قطع مثل الحصى وينزل مطر على الأرض. فامتن تعالى على عباده بخلق اختلاف الليل والنهار ولهذا الفضل العظيم . يوجه الله تعالي عقول عباده إلي النظر السليم في محكم نظامه في مخلوقاته وما فيها من دلالاته الواضحة على واسع علمه وعظيم قدرته ووحدانيته مما يحملهم على الإقرار بما هم منغمسون فيه من فضله وسابغ نعمه ليعبدوه ويشكروه.[2]

---

[1] سورة لقمان – الآيتان ٣١، ٣٢

[2] سورة القصص ٧١

قال الشيخ محمد ابن أحمد إياس الحنفي، في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور عن ابن أبي حاتم عن النبي ﷺ أنه قال: " أن العرش كان على الماء فلما خلق الله السموات جعله فوق السموات السبع وجعل السحاب كالغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الأرض، ويقال ارتفاع السحاب عن الأرض اثنى عشر ميلاً " قال " عكرمة أن الله تعالى ينزل المطر من السماء القطرة كالبعير ولولا أن السحاب والرياح تفرقها لفسد كل ما تقع عليه من النبات والبهائم وقد قال الله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا)[1].

أما عن ذكر المطر قال الشيخ محمد ابن أحمد إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور. قال ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى وكل بالمطر ملائكة فلا تنزل قطرة إلا ومعها ملك يضعها حيث شاء الله تعالى أما في البر وأما في البحر فإذا كان على الأرض أنبت الله به الزرع والأعشاب وهو قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ)[2] وأن كان في البحر يخلق الله تعالى منه اللؤلؤ الصغار والكبار. قال: أرسطاطاليس أن المطر يقع في البحر المحيط بالدنيا، وذلك وقت هبوب الريح الشمالي فإذا هاج البحر بالأمواج نزل من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف على وجه الماء ويفتح فاه ويلتقم القطرة من المطر كما يلتقم الفرج النطفة فلا يزال الصدف يعمد إلى مواضع في البحر لينعقد المطر فيصير دراً فإذا انعقد تغوص الصدفة إلى قعر البحر

---

[1] سورة الأعراف – الآية ٥٧.

[2] سورة الأنعام – الآية ٩٩.

ويجمعونها في أوعية موضوعة في صدورهم فيعمد إليها الغواصون وإذا تركت الدرة في الصدفة وطال مكثها في البحر فسدت وتغير لونها كالثمرة إذا تركت على الشجرة ولم تقطف في أوانها، فامتن الله على عبادة الأمطار من السماء والبحار من بخار الماء المالح المُر يطهر جو الهواء وحماية للبشر والحلي من الصدف وغيره واللحم الطري (أي: السمك) والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، . قال تعالى:(وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا)[1] (مَاءً طَهُورًا) أي: لتحيي به الأرض. فأحيا به الأرض من الثمرات والنباتات والزروع والأشجار رزقاً للعباد بإحياء الأرض بعد موتها . قال تعالى: (وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾) ومن الأنعام ولحومها وألبانها وشعرها وصوفها وتحمل عليها من السفر في البر. قال تعالى: (ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾)[2]. أي: أنزل الله ماءً من السماء طاهراً مطهراً أي ليحيي بهذا الماء أرضاً جدباء، أي ولقد أنزلنا هذا الماء في أماكن متعددة.

---

[1] سورة الفرقان – الآية ٤٨.

[2] سورة الفرقان. الآيات ٤٨–٥٠.

وقد ذكرنا خلق الأرض قبل خلق السماء

قال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾)[1]

كما قال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب الرسول ﷺ ورضي الله عنهم قال أن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق فأخرج من الماء دخاناً فأرتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين " الأحد والأثنين" وخلق الأرض وجعل فيها الأقوات والأرزاق فاضطربت فتزلزت الأرض فارسى عليها الجبال فقرت.

الله أنشأ الوجود من العدم وقدر ما كان قبل أن يكون وأسبغ عليهم نعمته الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشاً ومهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات. قال تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾)[2]

---

[1] سورة البقرة – الآية ٢٩.

[2] سورة فصلت – الآيتان ٩، ١٠.

وقال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور في وقائع الدهور: قال بعض علماء الهيئة: " إن الأرض مبسوط وقال آخرون أنها كالكرة وهي واقفة في الأفلاك، والأفلاك دائرة عليها، ومن جميع جوانبها كالصفار من البيضة وهي موضوعة في جوف الفلك وبعضها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وسبب وقوفها في الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه أياها من كل جهة إلى الوسط كما لو وضعت تراباً في قارورة وأدرتها بقوة فإن التراب يقوم في الوسط وأما من قال أن الأرض مبسوطة فقال البحر المحيط الذي هو أربعة وعشرون ألف فرسخ محيط بهما كما يحيط الخاتم بالإصبع.

خلق الله الأرض وما أودع فيها من معادن مختلفة الألوان والمنافع، وما أجرى فيها من أنهار. وما أحاط يابسها بأبحار. وما أنبت فيها من نبات وأشجار تختلف ثمارها، وتتباين أنواعها وطعومها وروائحها وخصائصها وفوائدها. اقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية فغمر الأرض بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها وهو تسعون درجة والعناية اقتضت انحسار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنب الزرع والثمار منها.

قال تعالى: (وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾)[1]. قال ابن كثير في البداية والنهاية، قالوا: العلماء المغمور من هذا البادي منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلاً. وهو خمس وتسعون درجة. فامتن الله على عباده فالحمد لله الذي سخر البحار وشق الأنهار في سائر الأقطار. تشق الأقاليم إلى الأمصار ما بين صغار وكبار على مقدار الحاجات.

---

[1] سورة الرحمن – الآية ١٠.

وأنبع العيون والآبار، وذكر الشيخ محمد ابن أحمد إياس الحنفي في بدائع الدهور في وقائع الدهور قال: عن الحكيم هرمس قال: الدنيا سبعة أجزاء جزء منها للترك وجزء منها للعرب. وجزء للفرس. وجزء منها للسودان. وثلاثة أجزاء منها ليأجوج ومأجوج. وقال أن الأقاليم أيضاً سبعة وهي إقليم الصين. وإقليم الحجاز وإقليم الروم وإقليم يأجوج ومأجوج، وإقليم العرب. وأطراف الدنيا أربعة. والنواحي خمسة وأربعون، وقال الشيخ محمد ابن أحمد ابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور. قال: حذيفة اليماني. وقال ابن إياس وروى في بعض الأخبار أن الدنيا مسيرة خمسمائة عام. ثلاثة مائة عام بحار وجبال ومائة عام عمران ومائة عام خراب.

وعن ذكر البحار قال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور في وقائع الدهور عن بن الجوزي الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرين بحر غير ما ظهر من الأنهار والعيون. قال ابن إياس قال الجوهري فائدة لطيفة في الفرق بين البحر والأنهار إنما سُمِّي البحر لاستبحاره وانبساطه وسعته ؛ لأنه شق في الأرض شقاً وفي كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة إذا شقوا أذنها بحيره وقال الزجاج وكل نهر ذي ماء كثير راكد بحر، لكن إذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك فيكون الماء إذا اتسع ولم يجري بحر ، وإذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة وقال ابن إياس الحنفي: قال الجوزي أن الذي عُرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحر؛ ففي جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفي جزيرة الشمال أحد عشرة بحر وفي جزيرة الجنوب إثنان ، وفيهما من الجزائر المعروفة إحدى وسبعون جزيرة وفي جزيرة الشرق ثمانية وفي الغرب ست عشرة جزيرة وفي جزيرة الشمال إحدى وثلاثون جزيرة.

وفي جزيرة الجنوب ست عشرة جزيرة (وأما البحار الكبار المشهورة فسبعة وهي المحيطات أي المحيط بالدنيا ويقال أن مسافته أربعة وعشرين ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه. قال بعض العلماء إنما سُمِّي البحر المحيط محيطاً لإحاطته بالدنيا.

قال ابن إياس الحنفي ولذا كان الحكيم أرسطاطاليس يسميه الإكليل ؛ لأنه حول الأرض بمنزلة الإكليل على الرأس، وبهذا البحر من العجائب ما لا يسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار.

قال ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول صفحة ٢١ وقال علماء التفسير المتكلمون على العروض والأطوال والبحار والجبال والمساحات وما في الأرض من المدن والخراب والعمران أما الأقاليم السبعة الحقيقية في إصطلاحهم والأقاليم المتعددة العرفية وما في البلدان والأقاليم من الخواص والنباتات وما يوجد في كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا الأرض مغمورة بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الإلهية اقتضت انحسار الماء عن هذه القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها.

كما قال تعالى: (وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾)[1]

---

[1] سورة الرحمن. الآيات من ١٠ – ١٢.

قالوا المعمور من هذا البادي فيها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلاً وهو خمس وتسعون درجة. قالوا فالبحر المحيط الغربي ويقال له أوقيانوس وهو الذي يتاخم بلاد المغرب وفيه الجزائر الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريباً وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة موجه واختلاف ما فيه من الرياح والأمواج وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شئ ولا يسافر فيه لمتجر ولا لغيره وهو أخذ في ناحية الجنوب حتى يسامت (أي: يسير) الجبال القمر. ويقال جبال القمر التي منها أصل منبع نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء. ثم يمتد شرقاً ويصير جنوبي الأرض وفيه هناك جزائر الزنج وعلى سواحله خراب كثير. ثم يمتد شرقاً وشمالاً حتى يتصل ببحر الصين والهند. ثم يمتد شرقاً حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة. وهناك بلاد الصين، ثم ينعطف في شرق الصين إلى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج، ثم ينعطف ويستدير على أراضي غير معلومة الأحوال، ثم يمتد مغرباً في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويعطف مغرباً وجنوباً ويستدير على الأرض ويعود إلى جهة الغرب وينشق من الغربي إلى متن الأرض الزقاق الذي ينتهي أقصاه إلى أطراف الشام من الغرب، ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم وينبعث من المحيط الشرقي في بحار آخر فيها جزائر كثيرة.

حتى أنه يقال أن في بحر الهند ألف جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الأخضر فشرقيه بحر الصين وغربية بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبية غير معلوم.

وهذا ما نقل عن ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول صفحة ٢٠ وقال وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالاً فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسيرها لهم الله الذي خلقها.

قال تعالى: (وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ)[1] وقوله (وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦)[2].

قال ابن كثير في البداية والنهاية: " البحر المملوء بالماء فوق السماء السابعة يسير يوم القيامة ناراً تؤجج ، وقال الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في تفسير المصحف الميسر قال عن قوله (وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ) أي: الذي هو فوق السماء السابعة. قال تعالى: (وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥) أي: السماء. (وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ) أي: المملوء بالماء. وذكر ابن كثير في كتاب البداية والنهاية في الجزء الأول صفحة ٢٠ قال: " وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: " وجدت في كتاب عن محمد بن معاوية البغدادي، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه، قال: " كلم الله هذا البحر الغربي وكلم البحر الشرقي، فقال للغربي إني حامل فيك عباداً من عبادي، فكيف أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم.

---

[1] سورة الحج – الآية ٦٥

[2] سورة الطور – الآية ٦.

قال بأسك في نواحيك وحرمه الحلية والصيد، وكلم البحر الشرقي فقال: " إني حامل فيك عباداً من عبادي، فما أنت صانع بهم ؟ قال: أحملهم على يدي، وأكون لهم كالوالدة لولدها فأثابه الحلية والصيد. ثم قال لا تـعلم أحد." ذكره ابن كثير وضعفه بن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجوزجاني والبخاري وأبو داود والنسائي. قال بن عدي أفظعها حديث البحر. فذكرنا لما رأينا من نعم الله تعالى على عباده أن كف شر البحر عن أن يطغى عليهم وسخر الآخر لهم يحمل مراكبهم ليبلغوا عليها إلى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه في السماء والأرض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات يهتدون بها في سيرها وبما خلق لهم فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة الغزيزة الحسنة الثمينة التي لا توجد إلا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريب وأحلها لهم حتى ميتتها كما قال تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ)[1]. وقال ابن كثير في البداية والنهاية في صفحة ٢١ وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالي كثيراً جداً فمنها ما هو واحد. ولكن يسمى بحسب البلاد المتآخمة له. فمن ذلك بحر القزم. والقزم قرية على ساحله قريب من أيله. وبحر فارس وبحر الخزر وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطش وبحر الأزرق، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضاً ويتضايق حتى يصب في بحر الروم وهو خليج القسطنطينية.

---

[1] سورة المائدة – الآية ٩٦.

ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم إلى بحر الروم وتبطئ إذا جاءت الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء.

فائدة لطيفة بين البحر والبحيرة والنهر: قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور ، عن ابن الجوزي قال: " المعروف عن بحار الدنيا تسعة وعشرون بحر ، أما البحار الكبار المشهورة المحاطة بالدنيا فسبعة، وهي المحيطات (أي: المحيط بالدنيا)، وقال بعض العلماء إنما سمي البحر المحيط محيطاً لإحاطته بالدنيا، وقال ابن إياس الحنفي في كتابه قال أرسطاطليس الحكيم ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار.

وقال ابن إياس عن ابن الجوزي، قال البحار الكبار المحاطة بالدنيا سبعة وكل نهر ذي ماء كثير راكد بحر. لكن إذا جرى يقال له نهر كنهر النيل والفرات وما أشبه ذلك. وإذا الماء اتسع ولم يجري بحر ، ويقال للبحر الصغير بحيرة. وإذا جرى فهو نهر.

قال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴿١٢﴾)[1]

[1] سورة فاطر – الآية ١٢.

الفصل التاسع

ذكر الأنهار السائحة ماؤها عذب ، جارية ، السائغ شرابها

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾)[1]، وقال تعالى: (مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾)[2] الحمد لله الذي سخر لنا الأنهار،قال تعالى (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾)[3] في سائر الأقطار يشق الأقاليم والأمصار ما بين صغار وكبار على قدر الحاجات وانبع العيون والآبار وأرسل السحائب بالأمطار فانبت لنا سائر صنوف الزروع والثمار بقدره العظيم، فالسعيد من آمن بالله ورسوله وقابل الأخبار بالتصديق والتسليم والأوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم ففاز بالنعيم المقيم وزحزح عن مقام المكذبين الضالين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آل وصحبه أجمعين. تكلم أصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار الكبار وأصول منازلها وإلى أين ينتهي سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق سبحانه وتعالي. وأنه فاعل بالاختيار والحكمة.

روى عن الإمام النووي في شرح صحيح مسلم قال عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (سيحان وجيحان والفرات والنيل أكلها من أنهار الجنة).

---

[1] سورة الفرقان –الآية ٥٣.

[2] سورة الرحمن – الآيتان ١٩، ٢٠

[3] سورة النبأ – الآية ١٤.

وقال ابن كثير قال الإمام أحمد ابن حنبل عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان) وهذا الحديث أيضاً صحيح على شرط مسلم وشرحه الإمام النووي. قال تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾)[١]

ومن آياته ساق نهر النيل إلى أرض مصر فيفترق شطرين عند قرية على شاطئه قال ابن كثير يقال لها شطنوف. فيمر الغربي على رشيد.

وقال ابن إياس عن المسعودي إن زيادة النيل وفيضانه بالسيول وكثرة الأمطار قال: والروم زيادته من عيون في شاطئه تفور من أوله إلى آخره وهذا هو السبب في تكديره عند الزيادة ؛ لأن العيون إذا تبعت من الأرض اختلطت الطين عند نبعها فتكدره، وقال ابن إياس الحنفي قال الكندي أنه في أيام الزيادة يستمر في بلاد الحبشة المطر ليلاً ونهاراً لا ينقطع في هذه المدة ويتنفيس النيل بالزيادة.

قال ابن إياس الحنفي عن المهدوي في تفسيره عن عبد الله رضي الله عنهما أن الله تعالى: سخر النيل كل نهر على وجه الأرض من المشرق إلى المغرب، فإذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يرجع إلى عنصره ومصداق هذا الخبر أن النيل مخالف لكل نهر على وجه الأرض؛ لأنه يزيد إذا انقضت الأنهار كلها، وإذا زادت نقص هو، فصح أنه يمتد بمياها والله أعلم."

---

[١] سورة السجدة – الآية ٢٧.

أما نهر النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة

قال ابن كثير في البداية والنهاية: أما النيل وهو النهر الذي ليس في أنهار الدنيا مثله أوله نظير في خفته ولطافته، وبعد مسراه فيما بين مبتداه إلى منتهاه فمبتداه من الجبال القمر أي البيض ومنهم من يقول جبال القمر بالإضافة إلى الكواكب وهي غربي الأرض وراء خط الاستواء إلى الجانب الجنوبي. ويقال أنها حمر ينبع من بينها عيون ويجتمع من عشر مسيلات متباعدة. ثم يجتمع كل خمسة منها في بحر. ثم يخرج منها أنهار ستة ثم يجتمع كلها في بحيرة أخرى. ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد الحبشة ثم على النوبة ومدينتها العظمى دمقلة ثم على السودان ثم يفد على ديار مصر. وقد تحمل إليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة إليهما معاً ؛ لأن مطرها قليل لا يكفي زرعها وأشجارها. وتربتها رمال لا تنبت شيئاً حتى يجئ النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون إليه، وهي أحق الأراضي بدخولها في قوله تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾)[1]

وقد قال ابن كثير عن عبد الله ابن لهيعة عن قيس ابن الحجاج عمن حدثه قال: (لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم (القبطية) فقالوا: (أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها فقال لهم وما ذاك ؟

---

[1] سورة السجدة – الآية ٢٧.

قالوا: إذا كان لاثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال عمرو أن هذا ألا يكون في الإسلام، وأن الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة والنيل لا يجري لا قليلاً ولا كثيراً. وفي رواية فأقاموا بؤنة، و أبيب ومسرى وهو لا يجري حتى هموا بالجلاء. فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي هذا فألقيها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: (أما بعد) ان كنت تجري من قبلك فلا تجري وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك) فألقى عمرو البطاقة في النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم. وذكر أخبار نهر النيل قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور قال الواقدي أن معاوية ابن أبي سفيان قال يوماً لكعب الأحبار هل تجد للنيل ذكر في كتب الله تعالى يعني في التوراة والزبور والانجيل والفرقان. قال كعب: والذي فرق البحر لموسى إني لأجد في التوراة أن الله تعالى يوحي إلي النيل عند ابتدائه ويأمره أن يجري حينما شاء الله تعالى ثم يوحي له عند انتهائه ويأمره أن يرجع إلى رشده حيث شاء الله تعالى، ويوحي له عند زيادته ونقصانه.

قال ابن إياس الحنفي : قال المسعودي ومن عادة النيل أنه إذا كان عند ابتداء زيادته ويخضر ماؤه فيقول أهل مصر توحم النيل ويرون أن الشرب منه مضر وسبب ذلك المتقدم ذكرها إذا تناقص النيل عن الزيادة ينقطع عنه الإمداد من المياه فيتغير ماؤه من لونه ويخضر.

فإذا زاد النيل ساق تلك المياه القديمية التي هي في أعالى النيل التي كانت راكدة. قال ابن إياس الحنفي: قال بعض الحكماء لولا الليمون بمصر لوحم أهلها من حلاوة النيل ولماتوا ولكن حموضة ماء الليمون تمنع الصفراء.
وقال ابن إياس الحنفي: قال الكندي أن النيل يخرج من قبة من الزبرجد ، ويمر على أرض ينبت فيها قضبان الذهب، فيفترق من هناك نهران: أحدهما يجري إلى الهند ويسمى نهر مهران والآخر يجري نحو أرض الزنج.
وقال ابن إياس الحنفي عن هرمس: يخرج من هذه القبة أربعة أنهار هي سيحان وجيحان والفرات والنيل. قال رسول الله ﷺ (فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان) وهذا الحديث على شرط مسلم ورواه الإمام أحمد عن أبي هريرة. وكان المرا د والله أعلم من أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفائها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك الأنهار في هذه الصفات ونحوه. قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور عن النيل العظيم : قال المسعودي: صاحب الأقاليم السبعة أن أصل النيل من جبال القمر من عشرة أعين فتجمع كل خمسة أعين في بطيحة هناك ثم يجريان. وذكر أن جبل القمر أنه منقوش على رأسه شراريف كبار. وذكر صفة جبل القمر خلف خط الاستواء الذي يستوى فيه الليل والنهار دائماً وأن القمر يطلع عليه وقال المسعودي: أن النيل يجري على وجه الأرض ألف فرسخ في عمار وخراب حتى يأتي بلاد السودان فإلى صعيد مصر وإلى هذا الموضع تصعد المراكب أميال من الفسطاط وعلى أميال من السودان وأن جبال وأحجار يجري النيل وسطها فلا سبيل إلى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين سفن الحبشة والمسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ينتهي إلى دمياط ورشيد والإسكندرية فيصب في البحر المالح من هناك.

فصل : أما نهر الفرات

قال ابن كثير في البداية والنهاية عن نهر الفرات، أما الفرات فأصلها من شمال الروم. فتمر إلى قرب ملطية ثم تمر على شميشاط. ثم إلى البيرة قبليها ثم تشرق إلى بالس وقلعة جعبر ثم الرقة ثم إلى الرحبة شماليها ثم إلى عانة ثم إلي هيت ثم الكوفة ثم تخرج إلى فضاء العراق ويصب في بطائح كبار أي بحيرات وترد إليها ويخرج منها أنهار كبار معروفة. (نهر سيحان).

فصل: أما نهر سيحان.

ويقال له سيحون أيضاً فأوله من بلاد الروم ويجري من الشمال والغرب إلى الجنوب والشرق وهو عربي مجري جيحان ودونه في القدر وهو ببلاد الأرض تعرف اليوم ببلاد سيس وقد كانت في أول الدولة الإسلامية في أيدي المسلمين. فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها عن الأعداء فتغلب تقفور الأرمني على هذه البلاد أعني بلاد سيس في حدود الثلاثمائة وإلى يومنا هذا. والله المسئول عودها إلينا بحوله وقوته. ثم يجتمع سيحان وجيحان أذنه فيصيران نهراً واحداً. ثم يصبان في بحر الروم بين أياس وطرسوس.

فصل: أما نهر جيحان.

وقال ابن كثير أما جيحون أيضاً وتسميه العامة جاهان. وأصله في بلاد الروم ويسير في بلاد سيس من الشمال إلى الجنوب وهو يقارب الفرات في القدر. ثم يجتمع هو وسيحان عند أذنة فيصيران نهراً واحداً. ثم يصبان في البحر عند أياس وطرسوس والله أعلم.

الفصل العاشر

خلق الجبال

قال تعالى: (وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾)[1] وقال تعالى:(وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾)[2]. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾)[3] أي: الجبال رواسي للأرض (أَن تَمِيدَ بِهِمْ) أي: لا تتحرك وتضطرب الأرض، وجعل في الجبال طرق واسعة من الخيرات. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) أي: لعلهم يؤمنون بالله الذي خلق لهم كل هذه النعم التي لا تحصى ولا تعد وجعل لهم طرق واسعة كثيرة من الخيرات من الزروع والنباتات والأشجار والعيون والآبار والأنهار (لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إليها وإلى الله بالعبادات والشكر على كرمه ونعمته التي خلقها لعباده (سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) و (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) قال ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وغير واحد من المفسرين: الطرائق وقال عكرمة وغيره (الغرابيب الجبال الطوال السود). وهذا هو الشاهد من الجبال في سائر أرجاء الأرض تختلف باختلاف بقاعها وألوانها.

---

[1] سورة النازعات – الآية ٣٢

[2] سورة فاطر – الآية ٢٧

[3] سورة الأنبياء – الآية ٣١

وقد ذكروا أصحاب الهيئة إعداد جبال الأرض في سائر بقاعها شرقاً وغرباً، وذكروا طولها وبُعد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه هنا. وفي البداية والنهاية لابن كثير قال، وقال ابن عباس رضي الله عنه الجدد الطرائق. وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين وهو جبل عظيم شرقي جزيرة ابن عمر إلى جانب دجلة عند الموصل امتداده من الجنوب إلى الشمال مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو أخضر؛ لأن فيه شجراً من البلوط إلى جانبه قرية يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام وسنذكرها في موضعها وفيما ذكره المفسرين والله أعلم.

وقال ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ، وأما جبل الجودي الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام، وعن ابن إياس الحنفي في كتابه قال روى في بعض الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى الجبال ترسو السفينة على جبل منكن فتشامخت الجبال كلها إلا جبل الجودي ، فإنه تواضع وخر ساجداً لله تعالى فأرسى الله السفينة عليه، ويقال أن حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودي حتى يصير ثقله في ميزان من يحج.

وقال ابن إياس الحنفي عن ابن الدنيا في كتاب الورع أن أول جبل قافونا فمبدؤه من كشف السد الذي على يأجوج ومأجوج وينتهي إلى أرض الصين.

وقال ابن إياس في كتابه صفحة ٢٣ ذكر عن الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي قال: أما عن جبال مكة فمنها جبل حـراء وجبل ثـور الذي به الغار وجبل ثبير وجبل مفرح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحني وغير ذلك من الجبال.

وقال أيضاً ابن إياس في كتابه في صفحة ٢٠، ٢١ وأما جبل الراهون وهو الذي أهبط عليه آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة وقال ويروي أن في هذا الجبل أثر أقدام آدم وهي مغروسة في الحجر وطولها نحو عشرة أذرع. والله أعلم. وإن كان هذا الأثر لآدم أو غيره من بني آدم على جبل (الراهون) الذي أهبِط عليه آدم. والله أعلم.

وقال ابن إياس في كتابه: قال الواقدي أن جبل قاف أبو الجبال كلها. وقد جعل الله لكل جبل من جبال الدنيا عروقاً متصلة به. وقال: إن الله تعالى وكَّل بجبل قاف مَلَكاً عظيم الخلقة يقال له قاف أن يحرك عروقاً من عروقه، فإذا حركه تزلزلت تلك الأرض أو خسف بها. وقال ابن إياس في كتابه عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إن جبل قاف محيط بالدنيا وهو جبل عظيم لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وقد أقسم به القرآن العظيم، فقال عزَّ من قائل:

(قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١)[1]

وقال ابن إياس في كتابه عن كعب الأحبار رضي الله عنه وروى عنه أنه قال أن خلف جبل (ق) سبعون ألف أرض مشرقة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى فيها قمر ولا شمس ولا حر ولا برد، طول كل أرض عشرة آلاف سنة وخلف ذلك بحار من ظلمة وخلف ذلك حجاب من الريح وتحاط الدنيا ويسبحون الله " وأنها أرض بيضاء مثل الفضة" وقال ابن إياس أيضاً في كتابه، قال: وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: " خلق الله تعالى أرضاً بيضاء مثل الفضة وهي قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها أمم لا يعصون الله طرفة عين. قالت الصحابة: يا رسول الله أمِن ولد آدمهم هم ؟

---

[1] سورة ق – الآية ١

قال: لا يعلمهم غير الله، ليس لهم علم بآدم. قالوا: يا رسول الله فأين إبليس منهم؟ فقال:ولا يعلمون بإبليس. ثم تلا قوله تعالى:(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1].

وقال ابن إياس عن وهب ابن منبه أن بالقرب من جبل قاف أرضاً رجاجية، لا تستقر عليها الأقدام، وبها صنم من نحاس وهو ماد يده إلى ورائه ، كأنه يقول ليس ورائي مسلك. وقال ابن إياس الحنفي في كتابه: ويقال أن نبي الله ذا القرنين وصل إلى تلك الأرض في سبعين ألف من عسكره فماتوا جميعاً. وأن جبال الدنيا وقد ذكروها أصحاب الهيئة وذكروا أعدادها من طولها وبعد امتدادها وارتفاعها وأوسعوا القول في ذلك بما يطول شرحه ههنا. قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد. (أي: الأرض تتمايل) فخلق الجبال فألقاها عليه فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب هل من خلقك شئ أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالت: يا رب، فهل من خلقك شئ أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالت: يارب، فهل من خلقك شئ أشد من النار؟ قال: نعم، الريح. قالت: يا رب، فهل من خلقك شئ أشد من الريح؟ قال: نعم. ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله) تفرد به الإمام أحمد عن أنس ابن مالك. وقال الإمام جمال الدين القاسمي في كتاب الأحاديث القدسية رواه الإمام الترمذي عن أنس ابن مالك. وقال حديث حسن صحيح. قال تعالى: (وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾)[2]

---

[1] سورة النحل - الآية ٨

[2] سورة النازعات - الآية ٣٢

قـال تعـالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾)[1]

وذكر الله تعالى ما خلق في الأرض من بحار وأنهار وجبال وأشجار وثمار وعيون وآبار وسهول وأوعار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري والقفار والبحار وما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته. وسهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة إليه في ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومسائها.

وقد ذكر ابن كثير تفسيره حديثاً عن السدي الكبير عن ابن عباس وعن مرة وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب الرسولﷺ قال: " وخلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من منافع."

كما قال تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾)[2]،

وقال تعالى: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ)[1].

---

[1] سورة الرعد – الآيتان ٣، ٤

[2] سورة هود – الآية ٦.

ذكر الله تعالى دليلاً مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض فقال: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾)[2] أي: قصد إلى السماء والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والإقبال ؛ لأنه عدى بإلى فسواهن أي: فخلق السماء سبعاً، والسماء ههنا اسم جنس فلهذا قال: (فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) أي: وعلمه محيط بجميع ما خلق، كما قال: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)[3] وتحصيل هذه الآية (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ)[4]

---

[1] سورة فصلت – الآية ١١.

[2] سورة البقرة – الآية ٢٩

[3] سورة الملك – الآية ١٤.

[4] سورة فصلت ، الآيات ٩ – ١٢.

ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولاً ثم خلق السموات سبع وهذا شأن البناء - ولله المثل الأعلى - أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك. ولهذا علّم البشر صناعة البناء من المبدع الذي خلق السموات والأرض. في محكم آياته على لسان أنبياء ورسل ورسوله الخاتم ﷺ خاطب ملكات خفية في النفس البشرية لعمارة الكون المتسع الرحيب. وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

فأما ابن كثير فسر في القرآن العظيم عن قوله تعالى: (ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾)[1]

قال ابن كثير: فقد قيل أن ثم ههنا إنما هي عطف الفعل على الفعل كما قال الشاعر: قل لم نساد ثم ساد أبوه.ثم قد ساد قبل ذلك جده. قال وقيل الدحي كان بعد خلق السموات والأرض. ورواه علي بن أبي طلحه عن ابن مسعود، وقال أيضاً ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم: وقد قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وأبي مسعود وعن ابن عباس وعن مُرَّة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)[2]

---

[1] سورة النازعات – الآيات من ٢٧ – ٣٣.

[2] سورة البقرة – الآية ٢٩.

قال: إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه، فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أراضين في يومين (الأحد والاثنين) فخلق الأرض فاضطرب فتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال ، فقرَّت ، فالجبال تفخر على الأرض ، ذلك قوله:(وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾)[1] وخلق الجبال فيها أقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين (في الثلاثاء والأربعاء) ، وذلك حين يقول: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا)[2] ، يقول: أنبت شجرها (وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا) لأهلها في (فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾). يقول: من سأل فهكذا الأمر، (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ)، وذلك الدخان من تنفيس الماء، حين يتنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين (في الخميس والجمعة) وإنما سُمِّي يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض (وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا).

---

[1] سورة الأنبياء – الآية ٣١

[2] سورة فصلت – الآيتان ٩، ١٠

وقال ابن كثير في تفسيره : خلق الله في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومما لا يعلمه غيره، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً(وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظًاۚ) تحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش ، فذلك حين يقول: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ)[1]، ويقول: (كَانَتَا رَتۡقًا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَىۡءٍ حَىٍّ)[2]، وقال ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم: قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا عبد الله ابن صالح ، حدثني ابن معشر ، عن سعيد ابن أبي سعيد، عن عبد الله ابن سلام أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين في الأحد والاثنين وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عجل، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة.

وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: قال مجاهد في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا) قال خلق الله الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض صار منها دخان.

---

[1] سورة السجدة – الآية ٤

[2] سورة الأنبياء – الآية ٣٠.

فذلك حين يقول: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ) قال بعضهن فوق بعض وسبع أراضين يعني بعضها تحت بعض وهذه الآية دالة على أن الأرض خلقت قبل خلق السماء كما قال في آية السجدة:

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾)[1]، فهذه وهذه دلالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء ، قال ابن كثير: وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء.

وقال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾)[2]

---

[1] سورة فصلت – الآيات ٩ – ١٢

[2] سورة الطلاق – الآية ١٢

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[1]. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾[3]،
قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[4]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

---

[1] سورة المؤمنون – الآية ١٨

[2] سورة لقمان ، الآيتان ١٠ ، ١١ ، ٢٨

[3] سورة السجدة، الآيتان ٧، ٨

[4] سورة فاطر – الآية ٣٩

وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)[١]،

وقال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥))[٢]

---

[١] سورة لقمان ، الآيات ٢٩ – ٣٢.

[٢] سورة يوسف – الآية ١٠٥.

الفصل الحادي عشر: في ذكر الكواكب
الشمس والقمر والنجوم وذكر ما يتعلق من الآيات

قال تعالى: (تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾)[1].

الله خلق السبع سموات طباقاً، طبق فوق طبق بعضها فوق بعض، ولم يجعل فيها (مِن تَفَٰوُتٍ) أي: من اضطراب أو خلل ولا (مِن فُطُورٍ) أي: شقوق، فانظر إلى السماء مرة بعض مرة أخرى، أي: (كَرَّتَيْنِ) ولو نظرت مرات ومرات (يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) أي: كليل متعب؛ لأن الله هو الذي خلقهن وأحسن كل شئ خلقه.

[1] سورة الملك، الآيات ١ – ٥.

فمن روائع الإيمان التفكر في بدائع الرحمن والتأمل في الكون والتدبر في أسرار الكون المتسع الرحيب ولو نظرنا في القرآن وتدبرنا في آيات الله ونظرنا بعين الاعتبار في خلق السموات والأرض ، فاعلم أخي الكريم أن هذه الكواكب التي في السماء من الثوابت والسيارات الجميع مخلوقة خلقها الله تعالى كما قال تعالى: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾)[1] كل هذه الكواكب لصالح العباد الذين يعيشون على سطح كوكب الأرض. فكوكب الأرض على شكل الدحية. أي: كرى، كما ذكر أهل العلم، فإذا استدارت نصف الأرض تجاه الشمس كان نهاراً والنصف الآخر ليلاً.

قال تعالى: (وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾)[2]

ولما تقدمت الحضارات فتح الله من كنوز الكون المزدخرة على عباده بحسب فهمهم ولما سعى الإنسان إزداد فهمه بالعلم فأعطاه الله من الخير والمعرفة، وقالوا علماء العصرالحديث علماء الهيئة ذكر في كتاب الجغرافيا والتضاريس:

---

[1] سورة فصلت – الآية ١٢

[2] سورة الاسراء – الآية ١٢

ولما كان الإنسان في سعي دائب ومستمر لاستكشاف الفضاء المحيط بهذا الكوكب الذي نعيش عليه في محاولة لزيادة الفهم بالعناصر والمتغيرات المؤثرة في بيئته وفي الوقت عينه بتوسع حيز هذه البيئة، فإنه من المفيد في مثل هذه الحالة الراهنة الإلمام بموقع الأرض من هذا الفضاء الكوني، خاصة في نطاق النظام الشمسي للمجموعة الكوكبية

وقد ذكرها الله تبارك وقال تعالى في القرآن الكريم: (لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ)[1]

التي لا تحيط عن مدارها في الكون. ويذخر الكون المتسع بإضائتها الذي ينتمي إليه. فعلى الرغم من أن كوكب الأرض يبدو لنا جسيماً هائلاً عظيم الأبعاد، فسيح السطح فإنه في واقع الأمر ليس إلا فرداً متواضعاً من أفراد النظام الشمسي في المجموعة الشمسية، وفي الوقت نفسه فإن الشمس ذلك النجم الأعظم تتمركز حوله كل هذه المجموعة، فإنها ويتبعها من كواكب سيارة وتوابع ممتثلة في الأقمار ليست سوى إلا إحدى المجموعات النجمية أو المجرات التي تسبح في الفضاء وهي من أهم وأبهى نجم في الكون بالنسبة لسكان الأرض، والشمس تبلغ من الحرارة بحيث تضيئ نفسها إذ تبلغ درجة حرارة سطح الشمس حوالي ستون ألف درجة مئوية تزيد إلى حوالي عشرين مليون درجة مئوية من الداخل ومثل هذه الحرارة تستطيع أن تصهر وتبخر أي مادة. ذكره الدكتور/ فتحي عبد المنعم راضي في كتاب الجغرافيا والتضاريس.

---

[1] سورة يس – الآية ٤٠

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] وهذا من فضل الله على عباده.

قال تعالى:﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[2]

وإذا كانت الأرض تجاه الشمس كان نهاراً والآخر كان ليلاً والقمر والنجوم المضيئة ليلاً ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وذكر قديماً وخاضوا في ذلك العلم فلاسفة حِران. وقد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا في هذه الأشياء حتى تعدوا إلى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأرضية ومما لا علم لكثير منهم به. وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنوا الشام قبل زمن المسيح عليه السلام بدهور لهم في هذا كلام كثير يطول بسطه، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبواب سبعة، وجعلوا على رأس كل باب هيكلاً على صفة الكواكب السبعة يعبدون كل واحد في هيكله، ويدعونه بدعاء يأثره عنهم غير واحد من أهل التواريخ وذكرهم ابن كثير في البداية والنهاية وغيرهم.

وقال ابن كثير ذكر صاحب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم وغيره من علماء الحرنانين (فلاسفة حران في قديم الزمان) وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين ذكرهم ابن كثير وغيره من علماء التفسير.

---

[1] سورة الأنبياء – الآية ٣٣.

[2] سورة يس – الآيتان ٣٨، ٣٩

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾[2]، فأخبر أخباراً عن الهدهد أنه قال لسليمان مخبراً عن بلقيس ملكة سبأ وجنودها في اليمن وما ولاها. فقد كان رد الهدهد وخطاب سليمان عليه السلام فيه روائع الإيمان بالله. وقد أوضحه القرآن وبينه بياناً شافياً يذكرنا الله عن مخلوقاته وهو قوله عن الهدهد، أي:

لا يعجبه ، فعلمهم وليطالب ويقول قال تعالى: أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

---

[1] سورة فصلت – الآية ٣٧

[2] سورة النمل . الآيات ٢٣ – ٢٦

وفي التفسير لابن كثير البداية والنهاية، قال البخاري في كتاب بدء الخلق وقال قتادة: (فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾)[1]. قال خلق هذه النجوم الثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها، فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. وهذا الذي قاله قتاده مصرح به في قوله تعالى: (وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾)[2]. وقال تعالى:(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾)[3]. فمن تكلف غير هذه الثلاث أي:من علم أحكام ما تدل عليه حركاتها ومقارناتها في سيرها وأن ذلك يدل على حوادث أرضية فقد أخطأ. وذلك أن أكثر كلامهم في هذا الباب ليس فيه إلا أحداس وظنون كاذبة ودعاوي باطلة. وذكر تعالى أنه خلق سبع سموات طباقاً؛ أي: واحدة فوق واحدة. واختلف أصحاب الهيئة هل هن متراكمات أو متفاصلات أم بينهن خلاء على قولين والصحيح الثاني.

---

[1] سورة فصلت – الآية ١٢

[2] سورة الملك – الآية ٥

[3] سورة الأنعام – الآية ٩٧

لما قدم من حديث عبد الله ابن عميرة الذي ذكره ابن كثير في البداية والنهاية من حديث إلا حنف عن العباس في حديث الأوعال أن رسول الله ﷺ قال: " أتدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال بينهما مسيرة خمسمائة عام، ومن كل سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة. الحديث بتمامه رواه الإمام أحمد في سننه. وأبو داود وابن ماجة والترمذي حسنه. ذكره في الصحيح عن الشمس قال البخاري عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش. فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها. يقال ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾[1].

هذا لفظ البخاري في كتاب بدء الخلق ورواه في التفسير وفي التوحيد من حديث الأعمش أيضاً ورواه مسلم في الإيمان من طريق الأعمش. وكلهم عن أبي ذر. وما أحسن ما أورده الإمام محمد ابن إسحاق ابن يسار في أول كتاب السيرة من الشعر لزيد بن عمرو نفيل في خلق السماء والأرض والشمس والقمر وغير ذلك.

قال ابن هشام عن أمية ابن أبي الصلت: وذكره ابن كثير في البداية والنهاية لأمية بن الصلت قال:

[1] سورة يس – الآية ٣٨

إلى الله أهـدي مـدحـتي وثـنـائيا وقـولاً رضياً لا يني الدهر بـاقيـا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه إلـه ولا رب يـكـون مـدانـيـا
ألا أيـها الإنـسان إيـاك والـردي فإنـك لا تخـفـي مـن الله خـافـيـا
وإيـاك لا تـجـعـل مع الله غـيره فـإن سـبـيـل الرشد أصبح باديـا
حـنانيك إن الجـن كانت رجـاءهم وأنـت إلـهـي ربـنـا ورجـائـيـا
رضـيـت بـك اللهم ربـاً فـلـن أرى أديـن إلـهـاً غـيرك الله ثـانـيـا
وأنت الذي من فضل ومن رحمةٍ بعـثـت إلـى موسـى رسـولاً مناديـا
فقلت له اذهب وهرون فـادعـوا إلى الله وقل لفرعون الذي كان طاغيا
وقـولا لـه آأنـت رفـعـت هـذه بـلا وتـدٍ حـتى اطمـأنت كما هيا
وقـولا لـه آأنـت سـويـت وسطها منيراً إذا مـا جـنه الـلـيـل هـاديـا
وقـولا لـه من يرسل الشمس غدوة فيصبح م مست من الأرض ضاحيـا
وقـولا لـه من ينبت الحب في الثرى فيصبح من البـقـل يهتز رابـيـا
ويخـرج مـنـه حـبه فـي رؤسـه وفي ذاك آيـات لمن كان واعـيـا
وأنت بفضل منك نجيت يـونـسـاً وقد بات في أضعاف حوت ليـالـيـا
وإني لـو سبحـت باسـمـك ربـنـا لأكثر الأ ما غـفـرت خـطـائـيـا
فـرب العبـاد ألق سيـبـاً ورحمـة عـلـي وبـارك فـي بنـي مالـيـاً

وقال أمية في شعره عن الشمس: ذكر ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٢٨: تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد.

فإذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من عادتها فلا يؤذن لها فجاء أنها تسجد أيضاً ثم تستأذن فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة كما ذكر ابن كثير في تفسير القرآن العظيم كما أورد عن الحديث في كتابه، فتقول: يا رب إن الفجر قد اقترب وأن المدى بعيد فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا جميعاً، وذلك حين قال تعالى:

(لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾)[1]. وفسروا بذلك قوله تعالى: (وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾)[2].

قيل لوقتها الذي تؤمر فيه تطلع من مغربها. وقيل مستقرها موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش. وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا. قال ابن كثير

عن ابن عباس أنه قرأ (وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ). أي: ليست تستقر فعلى هذا تسجد وهي سائرة ولهذا قال تعالى: (لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾)[3]

أي: ليست سابقة بمسافة يتأخر ذلك عنه فيها، بل إذا ذهب النهار جاء الليل في أثره متعاقباً له. ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السموات والأرض وأشرفهن منظراً وأشرفهن معتبراً الشمس والقمر وتكلم عن الليل والنهار والشمس والقمر.

---

[1] سورة الأنعام – الآية ١٥٨.

[2] سورة يس – الآية ٣٨.

[3] سورة يس – الآية ٤٠.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1] قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾[2] كما قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[4].

أي: يخلف هذا لهذا وهذا لهذا كما قال رسول الله ﷺ: (إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم).

---

[1] سورة فصلت – الآية ٣٧.

[2] سورة الحج – الآية ١٨

[3] سورة الأعراف – الآية ٥٤

[4] سورة الفرقان – الآية ٦٢

ذكر الحديث ابن كثير في كتاب بدء الخلق صفحة ٢٨، فالزمان المحقق ينقسم إلى ليل ونهار وليس بينهما غيرهما. ولهذا قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[1].

فيولج من هذا في هذا، أي يأخذ من طول هذا في قصر هذا فيعتدلان كما في أول فصل الربيع يكون الليل قبل ذلك طويلاً والنهار قصيراً فلا يزال الليل ينقضي والنهار يتزايد حتى يعتدلا وهو أول الربيع، ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار إلى آخر فصل الخريف. ثم يتراجع النهار قليلاً قليلاً ويتناقص الليل شيئاً فشيئاً حتى يعتدلا في أول فصل الربيع كما قدمنا، وهكذا كل عام. ولهذا قال تعالى:

(وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ)[2]. أي: هو المتصرف في ذلك كله؛ الحاكم الذي لا يخالَف ولا يُمانَع؛ ولهذا يقول في ثلاث آيات عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار، قال تعالى:(ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾)[3].

أي: العزيز الذي لا يُقهر، الذي قهر كل شئ، ودان له كل شئ، فلا يمانَع ولا يُغالَب، العليم بكل شئ فقدر كل شئ تقديراً على نظام لا يختلف ولا يضطرب.

---

[1] سورة لقمان – الآية ٢٩

[2] سورة المؤمنون – الآية ٨٠

[3] سورة الأنعام – الآية ٩٦

وقد ثبت في الصحيحين عن البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله يؤذيني ابن آدم ؛ يسب الدهر وأنا الدهر، وبيدي الأمر أقلب الليل والنهار." وقد حكى ابن جزم وابن المنير، وقال ابن إياس عن أبو الفرج ابن الجوزي وبعض العلماء على أن السموات كرة مستديرة واستدل على ذلك بقوله ، قال تعالى: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾)[1]. قال الحسن يدورون وقال ابن كثير عن ابن عباس في ملكه المغزل قالوا وهذا يدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع من المشرق. قال تعالى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾)[2]. أي: الأرض الذي عليها الشمس نهاراً والقمر والنجوم ليلاً. أي: تفاوت بين الشمس والقمر في نورهما وفي شكلهما وهي في وقتهما وفي سيرهما، فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر، والقمر نوراً؛ أي أضعف من برهان الشمس.

---

[1] سورة يس – الآيه ٤٠.

[2] سورة يونس – الآيتان ٥. ٦

وجعله مستفاداً من ضوئهما وقدره منازل؛ أي يطلع أول ليلة من الشهر صغيراً ضئيلاً قليل النور لقربه من الشمس، قلة مقابلته لها فبقدر مقابلته لها يكون نوره ولهذا في الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان في الليلة الأولى، فيكون نوره بضعف نور أول ليلة.

ثم كلما بَعُـد إزداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة مقابلته إياها من المشرق. وذلك ليلة أربع عشرة من الشهر ثم يشرع في النقص لاقترابه إليها من الجمعة الأخرى إلى آخر الشهر، فيستتر حتى يعود كما بدأ في أول الشهر الثاني. فيه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالي والأيام، وبذلك تعرف السنين والأعوام ولهذا قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾)[1].

قال تعالى: (وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ)[2].

قال تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾)[3].

تبارك الله: وتعالى شأنه وكثر خيره وإحسانه؛ فهو سبحانه الذي جعل في السماء طرق ومنازل خاصة بالكواكب منهاالأبراج اثنى عشر وهي المنازل والكواكب السبعة وهي الشمس السراج الوهاج ولها الأسد.

---

[1] سورة الإسراء – الآية ١٢

[2] سورة الأعراف – الآية ٥٤

[3] سورة الفرقان – الآية ٦١

والقمر المنير وله السرطان. وعطارد وله الجوزاء والسنبلة. وزحل وله الجدي والدلو. والمشتري وله القوس والحوت. والمريخ وله الحمل والعقرب. والزهراء ولها الثور والميزان. خلق الله هذه الكواكب فالشمس وهذا السراج الوهاج.

فسبحان الله المبدع (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)[1]. قال تعالى: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾)[2]. خلق هذه الكواكب (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾)[3]. وفي قراءة سراجا بالجمع: أي نيرات وخصَّ القمر منها بالذكر لنوع فصيلة (لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ)[4]؛ بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في إحداهما من خير فيفعله في الآخر (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾)؛ أي: شكراً لنعمة ربه فيهما. خلق الله الشمس والقمر، قال تعالى: (ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾)[5]. وهذه الكواكب مضينة. وقال تعالى: (﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾)[6].

وخلق الأبراج والنجوم والكواكب والأجسام والمدارات وأجرام و كل هذه المخلوقات المضينة بصائر للخلائق ومنافع للعباد وهدى ورحمة للمؤمنين.

---

[1] سورة الأنعام – الآية ١٠١

[2] سورة الحجر – الآية ١٦

[3] سورة الفرقان – الآية ٦١

[4] سورة الفرقان – الآية ٦٢

[5] سورة الرحمن – الآية ٥

[6] سورة الفرقان – الآية ٦١

قال تعالى: (وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾)[1]. والكافرين لهم عذاب السعير. قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾)[2] سبحان الذي خلق الحياة لمن يريد إحياءه ليختبركم أيكم أحسن عملاً لآخرته. سبحان من وضع الأرض للأنام سبحان من أوجد الخلائق ولا ينام. سبحان من خلق الشمس والقمر بحسبان. أي: يجريان بحساب دقيق (وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾)[3]. سبحان من وضع الميزان. سبحانه الذي رفع السماء بقدرته وأمركم بالتزام العدل قال تعالى: (تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾)[4]. أي: جعل في السماء طرقاً ومنازل خاصة بالكواكب و (سِرَٰجًا) أي: شمساً.

---

[1] سورة إبراهيم – الآية ٣٤

[2] سورة الملك – الآيتان ٥، ٦.

[3] سورة الرحمن – الآيتان ٦، ٧.

[4] سورة الفرقان – الآية ٦١

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾)[1]. (خِلْفَة) أي: يخلف كل واحد منهما الآخر فيأتي بعده. قال تعالى: (وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾)[2] أي: تارة ساجدين وتارة في صلاتهم وتارة قائمين. قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ)[3]. ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة في السموات هي الكواكب أحسنهم منظراً وأشرفهن معتبراً الشمس والقمر، وقد استدل عليهن الخليل إبراهيم عليه السلام، فبيَّن إبراهيم عليه السلام الطريق والبرهان بيا ن قطعي أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب والشمس والقمر لا يصلح شئ منها للإلهية ؛ لأنها مخلوقة مربوبة مدبرة مسخرة في سيرها لا تحيد عما خلقت له، ولا تزيع (أي لا تميل) عنه إلا بتقدير متقن محرر لا تضطرب ولا تختلف، وذلك دليل كونها مربوبة مصنوعة مسخرة مقهورة. ولذلك قال الله تعالى مبيناً ذلك لعباده في القرآن الكريم عن الخليل إبراهيم.

---

[1] سورة الفرقان – الآية ٦٢.

[2] سورة الفرقان – الآيتان ٦٣، ٦٤

[3] سورة الفرقان – الآية ٦٨.

قال تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾)[1]. ولذلك بيَّن إبراهيم أبو الأنبياء لأبنائه بالبرهان القطعي، ولهذا قال الله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾)[2]. أيها الإنسان إياك والردي . فإنك لا تخفي من الله خافياً. إعلم أيها الإنسان أنك مخلوق ولا يصح للمخلوق أن يسجد لمخلوق. وقوله آأنت ترسل الشمس غدوةً فيصبح منه البقل والنبات والزروع والأشجار تهتز رابياً. يخرج من الزروع الحبة وفي روسه. وفي الثمار والأرزاق والمخلوقات آيات لمن كان واعياً. وإني لو سبَّحت باسمك الله لا إله إلا أنت سبحانك ربنا لا أكثرت إلا ما غفرت خطاياي. فرب العباد ألقي عليَّ رحمة وبارك في بني وأهلي وأمة الإسلام وماليا.

وثبت في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته."

---

[1] سورة الأنعام – الآية ٧٦.

[2] سورة فصلت – الآية ٣٧

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾)[1]. أي: ثم جعلنا الشمس دليلاً عليه، إذ هو يزول عند تسلطها عليه، ويظهر عند احتجابها عنه. ولقد دلت الآيات والأحاديث على أن الشمس والقمر والنجوم مخلوقات ، خلقها الله لما أراد. ثم يفعل فيها ما يشاء. قال رسول الله ﷺ: " الشمس والقمر مكوران يوم القيامة." انفرد به البخاري عن أبي هريرة أن الله له الحجة الدامغة والحكمة البالغة، فلا يُسأل عما يفعل لعلمه وحكمته وقدرته ومشيئته النافذة وحكمه الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب. قال تعالى: (۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)[2]. ذكر في تفسير الجلالين أي: منورهما بالشمس والقمر (مَثَلُ نُورِهِۦ) أي: صفته في قلب المؤمن (كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ) هي: القنديل والمصباح السراج: أي الفتيلة الموقودة ، والمشكاة: أي الطاقة غير النافذة، أي الأنبوبة في القنديل (ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا) والنور فيها (كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) أي: مضيء كالشمس (يُوقَدُ) المصباح (مِن) زيت (شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ).

---

[1] سورة الفرقان – الآية ٤٥

[2] سورة النور – الآية ٣٥.

بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضران (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) لصفائه (نُّورٌ) به (عَلَىٰ نُورٍ) بالنار.

ونور الله أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان (يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ) أي: دين الإسلام (مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ) يبين (ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ) تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيفهموا فيؤمنوا (وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾).

ومنه ضرب الأمثال.إن كانت الناس لا يقدرون على النظر إلى شعاع الشمس في السماء بالنهار ، لا من بعيد ولا من قرب الكوكب الدري أي: الشمس الذي تستمد نورها من نور الله الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. قال تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾)[1]، قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾)[2]، قال تعالى: (۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾)[3].

---

[1] سورة الأنعام – الآية ١٠٣.

[2] سورة الشورى – الآية ١١.

[3] سورة النور – الآية ٣٥.

قال تعالى: (فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ
حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ
وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا
نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ
وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ
إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾
وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ
سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ
فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ
يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾)[1]

---

[1] سورة الأنعام – الآيات ٩٦ – ١٠٣

الفصل الثاني عشر: في ذكر الملائكة
وما دلت عليه الآيات الكريمات
وما يتعلق من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله ﷺ

فلما أكمل الله خلق الأرض والسموات على الصفة المتقدم ذكرها ، وأحسنهما وزيَّن السماء الدنيا وجمَّلها ، كما قال تعالى: (تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾)[1] ، وقال تعالى: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾)[2]. وقال تعالى: (تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾)[3].

---

[1] سورة الملك – الآيات ١ – ٥

[2] سورة فاطر – الآية ١

[3] سورة الشورى – الآية ٥.

إسرافيل – عليه السلام – وهو أحد حملة العرش

وقال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٤ في الجزء الأول: ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور بأمر ربه بنفخات ثلاثة. أولاً هي نفخة الفزع الثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتي بيانه في موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه. وقال ابن كثير وقال الإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام. وقال ابن كثير وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال ، قال: بينما رسول الله ﷺ ومعه جبريل بناحية إذا انشق أفق السماء فأقبل إسرافيل يدنو من الأرض ويتمايل فإذا ملك قد مثل بين يدي النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبي عبد أو ملك نبي قال فأشار جبريل إليَّ بيده " أن تواضع" فعرفت أنه لي ناصح فقلت عبد نبي فعرج ذلك الملك إلى السماء فقلت يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا ؟ فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟ فقال هذا إسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها نور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح فإذا أذن الله في شئ من السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فإن كان من عملي أمرني به وإن كان من عمل ميكائيل أمره به وإن كان من عمل ملك الموت أمره به ، قلت يا جبريل وعلى أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى أي شئ ملك الموت قال على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة.

وما الذي رأيت مني إلا خوفاً من قيام الساعة". وقال ابن كثير: " وإسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وموكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور. والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور ويجازى الكفور. فذاك ذنبه مغفور وسعيه مشكور وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور وهو يدعو بالويل والثبور.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول: قال اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : " إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة"

وقال ابن كثير يذكرنا بقوله تعالى: (تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾)[1]

وقال ابن كثير في الجزء الأول البداية والنهاية ذكر شهر ابن حوشب فقال: حملة العرش ثمانية: أربعة منهم يقولون: " سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون: "سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك". ذكر ابن كثير في البداية والنهاية في الجزء الأول صفحة ١. قال روى أبو داود عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: " أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام". ورواه ابن أبي عاصم ولفظه محقق الطير " وكذا بالأصول" ولعل الراوية محقق الطير مسيرة سبعمائة عام.

---

[1] سورة المعارج –٤.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ١، قال ذكر ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة. قال: ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي عرض به عن القراءة لامرأته حيث اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق . وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طافٍ . وفوق العرش رب العالمين

وتحمله ملائكة كرام . ملائكة الإله مسومينا

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن السيدة عائشة قالت: عن رسول الله ﷺ قال: (خلقت الملائكة من نور) أخرجه مسلم. قال الإمام محمد بن أحمد إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور: قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة؛ فمنهم من يشبه بني آدم في الخلق، ومنهم طائفة يسكنون السموات وطائفة يسكنون الأرض، وطائفة موكلون بحفظ بني آدم، ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل(أي: ملك الموت).

فأما جبريل قال تعالى عنه: (قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾)[1]. (رُوحُ ٱلْقُدُسِ). أي: جبريل أمين الوحي إلى الأنبياء. وقال تعالى: (عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾)[2].

[1] سورة النحل – الآية ١٠٢.

[2] سورة النجم – الآيات ٥ – ٨.

أي: جبريل وذكر ابن كثير في تفسيره قال: روى عن ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة:(فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝)[1] أي: إلى عبد الله محمد ﷺ ثم قال: (وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝)[2] أي: رأى جبريل على صورته مرتين وقد ذكر ابن كثير وذكر في الأحاديث عن الإسراء. أن سدرة المنتهى في السماء السابعة وفي رواية السادسة. أي: أصلها وفروعها في السابعة، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها، قيل غشيها الرب بنوره جل جلاله، وقيل غشيها فراش من ذهب، وقيل غشيها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة، وقيل غشيها ملائكة مثل الغربان، وقيل غشيها من نور الله تعالى، فلا يستطيع أحد أن ينعتها. أي: من حسنها وبهائها. فتارة يأتي جبريل في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها. له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب، كما رآه على هذه الصفة مرتين مرة منهبطاً من السماء إلى الأرض، وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، كما ذكرناها. والآيات متعددة في ذكره منها قوله تعالى:

(مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝)[3].

---

[1] سورة النجم – الآيتان ٩، ١٠

[2] سورة النجم – الآية ١٣.

[3] سورة البقرة – الآية ٩٨

فصل: فى صفة جبريل يقال له الروح. قال تعالى:(يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا)[1]. قال الإمام أحمد ابن حنبل قال عن شفيق قال سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: " رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح فسألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرني، قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب. وهذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها الإمام أحمد. قال الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده قال شفيق ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريل في خضر تعلق به الدر) إسناده صحيح. أي: الغصن الأخضر. ذكره ابن إياس في بدائع الزهور صفحة ٣١ قال: أما صفته فله ستمائة جناح بين كل جناحين مسيرة خمسمائة عام، وله ريش من رأسه إلى قدمه كلون الزعفران وكل ريشة كهيئة الشمس في نورها. قال ابن إياس ويروي أنه ينغمس في بحر النور كل يوم ثلاثمائة وستون مرة، فإذا خرج سقت منه قطرات من النور.

ذكر ابن كثير وقال ويروى أنه لما عين ميكائيل على النار لم يضحك بعد ذلك ولم يبتسم من هولها لما عاين النار خوفاً من الجبار. وقال ابن كثير وقد قال الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل (عليه السلام) ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط، فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار، فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم في القرآن الكريم وفي الصحاح في الدعاء النبوي: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل). أما ميكائيل (عليه السلام) خلق بعد إسرافيل بخمسمائة عام.

---

[1] سورة النبأ – الآية ٣٨.

قال ابن إياس وابن كثير وكتب التفاسير وأغلب العلماء قالوا ميكائيل عليه السلام فإنه موكل بأرزاق بني آدم. وقال ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور وموكل بالطير والوحوش والأمطار والسحاب والبحار والأشجار وكل النباتات. قال ابن كثير: فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم. وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله، وقد ذكرهم في التفسير في البداية والنهاية، وذكر ابن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنه ما من قطرة تنزل إلا معها ملك يقررها في موضعها من الأرض. وقال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٤١: إسرافيل موكل بالنفخ في الصور للقيام من القبور. والحضور يوم البعث والنشور. ويجازي الكفور وأما المومن التائب ذنبه مغفور. وسعيه مشكور. وهذا الكافر قد صار عمله كالهباء المنثور. وهو يدعو بالويل والثبور. فإسرافيل يحصل بما هو موكل به بالنصر والجزاء. أما صفة إسرافيل (عليه السلام) أنه أحد حملة العرش وقد أعطاه الله قوة وأجنحة لا تحصى وعظمة والتقم القرن وحنى جبهته. وقال ابن كثير قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يوذن له) قالوا كيف نقول يا رسول الله ؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا.) رواه أحمد والترمذي من حديث عطيه العوفي. قال ابن كثير روى الطبراني عن ابن عباس ورورى أبو داو د عن جابرابن عبد الله الأنصارى. قال: قال رسول الله ﷺ: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش) (أي: إسرافيل) إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه (أي: منكبيه) مسيرة سبعمائة عام) وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره.

وقال ابن كثير وإسرافيل من أحد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور، قال تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾)[1] قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾)[2].

قال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور أن الله تعالى: خلق ملك اسمه الروح يقوم يوم القيامة صفاً وحده لعظمته وجميع الملائكة صفاً فيكون الروح على قدر الملائكة لعظيم خلقته. وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح. وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل. وبعدها سمي ملك الموت. ذكره ابن إياس الحنفي عن العزيزي فوكز الأرض بحربة وأخذ من تراب الأرض لخلق آدم عليه السلام. ولذلك سمي ملك الموت. وأما عزرائيل موكل بقبض الأرواح من بني آدم وغيرهم وكذلك سائر الطيور والوحوش وكل ذي روح. بعد قبض أروح المخلوقات يأمره الله تعالى " يأتي ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقي خلقتك لما أردت فمُت، فيموت.

---

[1] سورة النبأ – الآية ٣٨

[2] سورة غافر –الآية ٧.

فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الفرد الصمد الذي (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝)[1]. يقول الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝)[2].

وهو الذي يعلم بكل المخلوقات (فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا)[3]، ومنهم ملائكة موكلون بحفظ أعمال العباد، كما قال تعالى: (عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝)[4]، وقال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝)[5] وفي تفسير الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي عن مجاهد قال: قال رسول الله ﷺ: " أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند أحد حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم) أي: حائط أو بعيره أو يستره أخاه. ووصل الحديث البزار في مسنده من طريق جعفر عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقوكم) الحديث أي: إكرامهم فلا يملي عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها، فإن الله خلقهم كراماً في خلقهم وأخلاقهم.

---

[1] سورة الإخلاص – الآيتان ٣، ٤.

[2] سورة غافر – الآية ١٦.

[3] سورة فاطر – الآية ١٠.

[4] سورة ق – الآية ١٧.

[5] سورة الانفطار – الآيات ١٠ – ١٢.

وفي صفحة ٤٧ ذكر ابن كثير في البداية والنهاية:وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: " فإذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإن من وفقه تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه."

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه. وكذا رواه مسلم عن معاوية وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة. وفي مسنده الإمام أحمد والسنن عن أبي الدرداء " لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع" أي: تتواضع له الملائكة كما قال تعالى: (وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)[1]. وقال تعالى: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ)[2]، وقال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾)[3] وفي ملائكة سياحين. حديث في كتاب الأحاديث القدسية.

---

[1] سورة الشعراء – الآية ٢١٥.

[2] سورة الإسراء – الآية ٢٤

[3] سورة فصلت – الآية ٣٠.

وفي كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان. وفي الصحيحين للبخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " إن لله ملائكة سياحين في الأرض.

فإذا وجدوا أقواماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله: على أي شئ تركتم عبادي يصنعون، فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك، فيقول وهل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأك لكانوا أشد تحميداً وتمجيداً وذكراً. قال: فيقول: فأي شئ يطلبون؟ فيقولون: يطلبون الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً. قال: فيقولون: من أي شئ يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها هرباً وأشد منها خوفاً. قال: فيقولون: أشهدكم (أي: يا ملائكتي) أني قد غفرت لهم. قال: فيقولون: إن فيهم فلاناً الخطأ لم يردهم، إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. وهكذا ذكره ابن كثير في البداية والنهاية قال البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد بخمس وعشرون درجة. ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر، يقول: (أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾)[1]. أي: يشهده ملائكة الصبح وملائكة العصر.

---

[1] سورة الإسراء – الآية ٧٨.

الفصل الثالث عشر: أول ما ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور الجـن قبل آدم عليه السلام

ولمـا فصـل بـين السـماء والأرض هبـت الريـاح ونزلـت الأمطـار بالمـاء ونبتت النباتات والزروع والثمار والأشجار، وخلق خلقاً كثيراً قبل خلق آدم – عليه السلام – بألفين عام، خلق الله الجن من الرياح والسحاب والبرق.

الحمد لله، أحمده حمداً كما أثنى به على نفسه وأمر العباد به. فالشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دونه، ودون ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، وفي تصحيح الآلات بطاعته وتمكين جوارح الأجسام المكلفين لأداء فرائضه مع ما بسط في دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه من الأسباب.

الحمد لله الخالق المحمود، ربنا ولك الحمد ملئ السموات وملئ الأرض ، وملئ ما شئت من شئ بعد. يلهم الله أهل الجنة تسبيحه وتحميده، فينجيهم من وساوس الشياطين من الجان، فأهل الإيمان يُلهَمون بالتسبيح والحمد، كما يُلهمون النفس، أي: عدد أنفاسهم، لما يرون من عظم نعمه عليهم وكمال قدرته وعظيم سلطانه وتوالي مننه، ودوام إحسانه إليهم، الهادي لأوضح السبل والنجاه من جميع شرور خلقه من الإنس والجان ذي من الثقلين وخلق من قبلهم الجن والبن تمهيداً لخلق الإنسان.

وقد دلت الآية (خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾)[1] بأن الجان مخلوق من نار.

---

[1] سورة الرحمن – الآيتان ١٤، ١٥.

وقد دل الحديث في صحيح الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (خُلِقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم) أي: من طين. فالحمد لله كله في الأولى والآخرة الذي له الخلق كله، السموات والأرض وما بينهما وما فيهن ومما نعلم، ومما لا نعلم.

لقد حذرنا الله ورسوله من الشياطين بالاستعاذة منهم بقوله (أعوذ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ) ، قال تعالى: (فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾)[1]. وقد ذُكِرَ في الحديث عن أبي داود رضي الله عنه وابن ماجة عن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي ﷺ قال: (اللهم إني أعوذ بك من الشياطين من همزه ونفخه ونفثه). ومعنى (أعوذ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ) الاستعاذة المستحبة - أي: أستجير بجناب الله من (ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ).

الحمد لله الذي خلق كل شئ وقدر ما كان قبل أن يكون. خلق الأرض وأرسى عليها الجبال ، وخلق فيها دار العمل وخلق السموات فيها دار القرار.

وأنزل الأمطار وأنبت الزروع ، وملأ الأشجار بالثمار ، ونشر الرياح، وخلق الوحوش والطيور.

وولد العشب في الأرض وأثمر النعم وعمَّ الخير، فلما جفت الثمار وركب بعضه فوق بعض، فعند ذلك شكت الأرض إلى ربها من هذا الأمر فخلق الله تعالى أمماً كثيرة وهم على صور مختلفة وأجناس مجنسة.

---

[1] سورة النحل – الآية ٩٨.

خلق الجن فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور فكان أكلهم من الثمار والزروع وصيد الطيور والوحوش فاستمر على ذلك دهراً طويلاً تمهيداً لخلق آدم عليه السلام.

قال تعالى: (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾)[1]. وقال تعالى: (وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾)[2].

أما الجن قال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور في وقائع الدهور عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله الجن من الرياح والبرق والسحاب. لما أكمل الله تعالى خلق السموات والأرض على الصفة المتقدم ذكرها وأرسى الجبال ونشر الرياح وخلق الوحوش والطيور صارت الثمار تجف وتقع على الأرض ويتولد العشب في الأرض ويركب بعضه بعضاً فعند ذلك شكت الأرض إلى ربها من هذا الأمر فخلق الله تعالى من الأرض أمماً كثيره وهم على صور مختلفة وأجناس مجنسة يقال لهم الجن. وقد خلقهم الله من الريح ومن البرق والسحاب وهم ذوو نفس وحركة فانتشروا كالذر لكثرتهم، فامتلأ منهم السهل والجبل وسائر أقطار الدنيا فأقاموا على وجه الأرض ما شاء الله من الزمان.

وكان منهم الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأبلق والأبقع والأصم والأعمى والحسن والقبيح والقوي والضعيف والأنثى والذكر

فتناكحوا وتناسلوا وسموا الجن لاجتنانهم خلاف الجان: (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾).

---

[1] سورة الرحمن – الآية ١٥.

[2] سورة الحجر – الآية ٢٧.

ذكر ابن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما وسموا الجن لاجتنانهم أو لاختفائهم فلما كثروا في الأرض وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم زاد بأسهم فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفة فأهلكتهم ولم يبق منهم إلا القليل فهم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصيد الطيور والوحوش فاستمروا على ذلك دهراً طويلاً ثم بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ولم يكن قتالهم بسلاح، وإنما قتالهم كان يفني بعضهم بعضاً بالمحاصرة في البيوت حتى يهلكوا جوعاً وعطشاً، فلما تزايد أمرهم بالفساد أخرج الله تعالى لهم أمما من البحر وهم أعظم أجساداً منهم وأعجب خلقه يقال لهم البن فحاربوهم فهلكت الجن، ولم يبق منهم أحد. وقال ومدة إقامتهم في الدنيا خمسمائة عام.

الفصل الرابع عشر: ذكر أول من حفر الآبار وشق الأنهار وأجرى العيون وصنع الدواليب وبنى القناطر على الأنهار

الجن قبل خلق آدم – عليه السلام

ذكر ما ورد وما دلت عليه الأحاديث

قال ابن إياس عن أبي حاتم عن ابن عباس خلق الله الجن من البحار. قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وملك الأرض بعدهم الجن وتناكحوا وتناسلوا وكثروا حتى ملأوا الأرض فكان أحدهم يغوص إلى الأرض السابعة ويقيم بها أياماً، فلم تحجب عنهم بقعة من الأرض فهم أول من حفر الآبار وشق الأنهار وأجرى المياه إليها من العيون والبحار، وهم أول من صنع الدواليب وبنى القناطر على الأنهار وتسلطوا على الأسماك في البحر بالصيد، وعلى الوحوش في القفار فلم يبق في البر والبحر دابة إلا شكت منهم إلى الله تعالى.

وتزايد أمرهم بالفساد فخلق الله الجان. قال تعالى:(وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ).

وقال ابن إياس الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله الجان من مارج من نار. وخلق الملائكة من نور ساطع وهم على صفات مختلفة فمنهم من يشبه بني آدم في الخلق ومنهم طائفة يسكنون في السموات وطائفة يسكنون في الأرض ومنهم ملائكة موكلون بحفظ بني آدم ومنهم حملة العرش ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

الفصل الخامس عشر

وأما الجان، قبل خلق آدم عليه السلام بألف عام

ذكر ما يتعلق من الآيات وما ورد من الأحاديث وثبت ذكره في ذلك

قال تعالى: (وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾)[1].

قال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٦٥ قال عبد الله بن عمر: كانت الجان قبل خلق آدم بألف عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحار.قال ابن كثير عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن قالوا من طرف اللهب. وفي رواية من خالصه وأحسنه.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار. رواه مسلم. وقال ابن كثير قالوا علماء التفسير خلقت الجان قبل آدم عليه السلام، وكان قبلهم في الأرض الجن والبن فسلط الله الجان على البن فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم. وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب الرسول ﷺ: " لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجان ، وإنما سموا الجان؛ لأنهم خزان الجنة. وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في صدره إنما أعطاني الله هذه لمزية لي على الملائكة.

---

[1] سورة الحجر – الآية ٢٧.

وفي البداية والنهاية أيضاً في صفحة ٥٠ ذكر ابن كثير عن الضحاك عن ابن عباس أن الجان لما أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور. ورواه ابن جرير. قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور صفحة ٣٢: قال (روى) إن الله تعالى جعل سكان السماء الملائكة وجعل الجان ، فلما شكت الوحوش والطير من أفعال الجن والبن خلق الله تعالى الجان كما تقدم ذكره، فلما خلق الجان أسكنهم الأرض، فلما سكنوا تحاربوا مع البن فقوى الجان عليهم فأهلكوهم عن آخرهم ولم يكن لهم بقية، فبقى الجان في الأرض فتناكحوا وتناسلوا حتى ملأوا الأرض، ثم وقع بينهم التحاسد والبغي وكثر فيهم سفك الدماء وشوش بعضهم على بعض فشكت الأرض إلى ربها فعند ذلك بعث الله إليهم جنوداً من الملائكة وقال: فطرد الجان من الأرض فتوجهوا إلى شعب الجبال وسكنوا بها. ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان إبليس من حي من أحياء يقال لهم الجان. وقال تعالى: (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾)[1]. وقال ابن كثير عن ابن جرير عن ابن عباس وكان خازناً من خزان الجنة وخلقت الملائكة كلهم من نور، وقال رسول الله ﷺ (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار). رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

[1] سورة الرحمن – الآية ١٥.

وقال ابن كثير عن ابن جرير قال ابن عباس: وخلقت الجان الذين ذكروا في القرآن (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت. قال تعالى: (وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾)[١]

فلما كان من إبليس وخانه طبعه أطلع الله على ما في قلب إبليس من الكبر وإغراره بنفسه ولم تطلع الملائكة عليه وهو معهم.

قال ابن كثير في تفسيره في الجزء الأول صفحة ٧٨ عن ابن جرير قال سنيد بن داود عن سعد ابن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجان فسبى إبليس ، وكان صغيراً فكان مع الملائكة يتعبد معها. قال ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم عن محمد ابن اسحاق عن ابن عباس قال: (كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض وكان أشد الملائكة اجتهاداً، وأكثرهم علماً، فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون الجان وكان أشرفهم، وكان حازناً على الجنان، وقال ابن كثير في صفحة ٥٠ في البداية والنهاية في الجزء الأول قال الحسن البصري لم يكن (إبليس) من الملائكة طرفة عين ، وإنه من أصل الجان كما أن آدم أصل البشر.

قال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة٥٦ قال عبد الله بن عمر: كانت الجان قبل خلق آدم بألف عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جنداً من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحار. قال ابن كثير في البداية والنهاية: إلى شعب الجبال. وقال ابن كثير قال شهر ابن حوشب وغيره: كان إبليس من الجان الذين طردوهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء. ورواه ابن جرير. فكان إبليس مع الملائكة في السماء يتعبد معهم.

---

[١] سورة الحجر – الآية ٢٧.

وكان إبليس أشد فيهم اجتهاداً وأكثرهم علماً فأعجب بنفسه وداخله الكبر فاطلع الله على ما في قلب إبليس. فأخبر الله الملائكة ودخل إبليس في خطابهم ؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان تشبه بهم وتوسم بأفعالهم ، فلهذا دخل الخطاب لهم وذم في مخالف الأمر. يخبر الله تعالى في الملأ الأعلى بامتنانه على بني آدم قبل إيجادهم. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾)[١] لما رأت الجن والبن من قبل الجان قالوا وإنما بعثنا للجان عليهم لذلك؟ فقال الله تعالى (إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من المصلحة الراجحة، وإني قد رأيت ما لم تطلعوا عليه، فقال تعالى: (إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)[٢]، فأخبرهم الله على سبيل التنويه بخلق آدم، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم. وقال ابن كثير في قصص الأنبياء صفحة ١٦ : قيل علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجان ؛ لأنهم علموا أن الأرض لا يخلف فيها إلا من يكون بهذه المثابة غالباً.

---

[١] سورة البقرة – الآية ٣٠

[٢] سورة البقرة – الآية ٣٣

لما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن والجان قالوا (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) . قال ابن كثير عن ابن جرير عن قتادة قال: (التسبيح: أي التسبيح والتقديس الصلاة) وقالوا ذلك رغبة فيما يزيل عنهم شبهتهم وينزع الوساوس من صدورهم وامتد رجائهم إلى الله أن يستخلفهم في الأرض ؛ لأنهم أولياؤه المقربون وعباده المكرمون فأجابهم الله بما اطمأنت له قلوبهم وثاجت به صدورهم، فقال (إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء وسوجد منهم الأنبياء والمرسلين والصديقون والشهداء، ثم بين شرف آدم عليه السلام وشاءت إرادته واقتضت حكمته أن يخلق آدم.

الفصل السادس عشر
في قصة : خلق آدم عليه السلام

وما يتعلق به من الآيات الواردات وما دلت عليه الأحاديث الصحاح ، معتمداً في نقلها فيحقق كتاب (نور الهدى والإيمان) ما ثبت رفعه عن النبي (ﷺ) ، فمن الهدي والعلم اقتدينا في هذا التاريخ والسير، فللمستخبر أن يسمع أو يقرأ وللمؤلف أن يقول معهم الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ووفقنا للإيمان. وما كنا لنؤمن لولا أن شرح الله صدورنا له وأحيا قلوبنا بالقرآن نور الله المبين وحبله المتين. فالسعيد من قابل الأخبار بالتصديق والتسليم، والأوامر بالانقياد والنواهي بالتعظيم، ففاز بالنعيم المقيم، وزحزح عن مقام المكذبين. أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه النور الإلهي البهي العظيم الذي تمتد منه حبال الفكر نحو الدين القيم المبين ، حمداً يملأ أرجاء السموات والأرضين، دائماً أبد الآبدين ودهر الداهرين، في كل ساعة وآن ووقت وحين. كما ينبغي لجلاله العظيم، وسلطانه القديم ووجهه الكريم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان نبياً وآدم بين الماء والطين (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين. روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله (ﷺ) " كنت نبياً وآدم يجدلا في طينته." فسبحان من أنشأ الوجود من العدم وقدَّر ما كان قبل أن يكون في اللوح والقلم وخلق آدم وجعل من نسله الأنبياء والعجم.

واصطفى منهم نبياً محمداً (ﷺ) وكمّل به ديوان الأنبياء وختم ونسخ بشريعته جميع الشرائع وأوجب طاعته على السموات والأرض وعلى الخلائق من عاصٍ وطائع وجعل دول الإسلام مؤيدة بالخلفاء الراشدين. فمنهم ظل الله في أرضه لكل طائع انتظم في سلك المهتدين. أحمده حمداً يقتضي المزيد من النعم.

وأشهد أنه صاحب الجود والكرم، الذي رفع السموات بغير عمد وزينها بالكواكب الزاهرات، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وسوى فوقهن سريراً عالياً منيفاً متسعاً مقبباً مستديراً وهو رب العرش العظيم. ووضع الأرض للأنام على تيار الماء الجارف وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام قبل خلق السماء وأثبت فيها من كل زوجين اثنين دلالة للألباء من جميع ما يحتاج العباد إليه في كل وقت وحين وبدأ خلق آدم من طين. وجعل من نسله من سلالة في ماء مهين في قرار مكين. فجعله سميعاً بصيراً، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، وشرفه بالعلم والتعليم خلق بيده الكريمة آدم أباً للبشر، وصور جثته ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وخلق منه زوجة أماً للبشر فآنس بها وحدته، وأسكنهما جنته وأسبغ عليهما نعمته، ثم أهبطهما إلى الأرض لما سبق في ذلك من حكمه الحكيم. وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً. وقسمهم بقدره العظيم ملوكاً ورعاه، وفقراء وأغنياء، وأحراراً وعبيداً، وحرائر وإماء، وأسكنهم أرجاء الأرض، طولها والعرض، وجعلهم خلائف فيها يخلف البعض منهم البعض، إلى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم وسخر لهم الأنهار من سائر الأقطار، تشق الأقاليم إلى الأمصار.

ما بين صغار وكبار على مقدار الحاجات والأوطار (أي: الحاجة)، وأنبع لهم العيون والآبار، وأرسل عليهم السحائب بالأمطار، فأنبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار وأتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقال لهم: (وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾)[1]

فسبحان الله الكريم العظيم، وكان من أعظم نعمه عليهم. وإحسانه إليهم، بعد أن خلقهم ورزقهم ويسر لهم السبيل وانطقهم. أن أرسل رسله إليهم. وأنزل كتبه عليهم مبينة حلاله وحرامه، وإخباره وأحكامه. وتفصيل كل شئ في المبدأ والمعاد إلى يوم القيامة. فلقد بعث الله الأنبياء إلى البشر بهديه وشرائعه. تنساب من خلال سيرتهم العطرة صورة الإيمان الحق. وخصً كل نبي منهم بتعامل وتكليف وابتلى كل نبي بقومه. قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾)[2] وفصَّل سبحانه وتعالى ذكرهم في كتابه العزيز أيما تفصيل عنهم.

---

[1] سورة إبراهيم – الآية ٣٤.

[2] سورة يوسف – الآية ١١١.

قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ)[1] ومنهم من لم يقصص، قال تعالى: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)[2]، كما جاءت أخبارهم المتصلة بالسند إلى النبي (ﷺ). أما بعد: فهذا الكتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر خلق آدم عليه السلام وما يتعلق به وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة وما ثبت رفعه للنبي (ﷺ)، فمن الدرر أحسن الأخبار عنه عليه السلام.

قال تعالى في كتابه العزيز: (كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾)[3]. وقد قصَّ الله على نبيه (ﷺ) خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر قصة آدم وما كان في الوجود قبل وجود الموجودات وذكر الأمم الماضين، وكيف فعل بأوليائه وماذا أحل بأعدائه وبيَّن ذلك رسول الله (ﷺ) لأمته بياناً شافياً، وشرحه وأوضحه (ﷺ)، وسنورد عنه في ذلك تلك الآيات الواردة، أي: بذكر الأحاديث عقب الآيات في ذلك. أخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراحم في فهمه.

---

[1] سورة الكهف –الآية ١٣.

[2] سورة النساء – الآية ١٦٤

[3] سورة طه – الآية ٩٩.

فلقد ذكر البخاري – رحمه الله – في صحيحه عن عمرو ابن العاص – رضي الله عنه – أن رسول الله (ﷺ) قال: (بلغوا عني ولو آية) وقال أيضاً: (وحدثوا عني ولا تكذبوا علي ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). رواه البخاري عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص عن النبي (ﷺ). وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا. فإذا كان الله – سبحانه وله الحمد – قد أغنانا برسولنا محمد (ﷺ) عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فالمحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا (ﷺ) وشرحه وأوضحه. ذكر ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات من مواضع متفرقة من القرآن الكريم وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله (ﷺ) ولقد أغنانا بالكتاب والسنة وبينه لنا بياناً شافياً وقد شرحه وأوضحه (ﷺ). ونحن نميز بمشيئة الله تعالى ههنا الصحيح لهذه القصة والله المستعان. لقد أخبر الله تعالى نبيه عن بدء المخلوقات فقال تعالى: (خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩)[1]

أي: جعل في الأرض أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم قبل أن يخلقهم فيها، ولذلك من فضل الله على عباده جهز لهم الدار قبل أن يسكنهم في الأرض.

---

[1] سورة فصلت – الآية ٩

قال تعالى: (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١)[1]

قال تعالى: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ)[2]، ثم خلق ملائكته الذين يسبحون بحمده، ويقدسون اسمه، ويخلصون في عبادته. ثم خلق الجن والبن والجان تمهيداً لخلق الإنسان ثم شاءت إرادته، واقتضت حكمته أن يخلق آدم وذريته، ليسكنوا الأرض ويعمروها؛ فأنبأ ملائكته أنه سينشئ خلقاً آخر، يسعون في الأرض، ويمشون في مناكبها، وينشر نسلهم في أرجائها، فيأكلون من نبتها، ويستخرجون الخيرات من باطنها ويخلف بعضهم بعضاً فيها. أي(خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)[3]. والملائكة خلق اصطفاهم لعبادته، وأسبغ عليهم نعمته، وحباهم بفضله ووفقهم إلى رضاه، وهداهم إلى طاعته، فآدهم أن يخلق الله خلقاً غيرهم وخافوا أن يكون ذلك لتقصير وقع منهم، أو لمخالفة كانت من أحدهم فأسرعوا إلى تبرئة أنفسهم.

---

[1] سورة فصلت ، الآيتان ١٠. ١١

[2] سورة الرعد – الآية ٢

[3] سورة يونس – الآية ١٤.

وقالوا: كيف تخلق غيرنا، نحن دائبون على التسبيح بحمدك، وتقديس اسمك! على أن هؤلاء الذين تستخلفهم (أي: جعله خليفة في الأرض) لابد أن يختلفوا على ما فيها من منافع ويتجاذبوا ما بها من خيرات، فيفسدوا فيها، ويسفكوا الدماء غزيرة، ويزهقوا الأرواح طاهرة بريئة، قال تعالى:

(قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ)[1] ؟

قالوا ذلك رغبة فيما يزيل شبهتهم، وينزع الوساوس من صدورهم. وامتد رجاؤهم إلى الله أن يستخلفهم في الأرض ؛ لأنهم أسبق إلى رعاية نعمته، وأولى بمعرفة حقه: ولم يكن سؤالهم ذلك إنكاراً لفعله، ولا شكاً في حكمته، ولا تنقصاً لخليفته أو ذريته ؛ لأنهم أولياؤه المقربون، وعباده المكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون.

أجابهم الله بما اطمأنت له قلوبهم، وثلجت به صدورهم، فقال تعالى: (قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠)[2] وأعرف من حكمة استخلافه ما لا تدركون، فسأخلق ما أشاء، واستخلف من أريد، وسترون بعد ما خفي عليكم واستتر عنكم، صفوة خلقي، آدم والأنبياء والمرسلين والصدِّيقون والشهداء والصالحين.

---

[1] سورة البقرة – الآية ٣٠

[2] سورة البقرة – الآية ٣٠.

قال تعالى: (ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾)[1]

قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾)[2]

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

[1] سورة آل عمران ، الآيات ١٦ – ١٨.

[2] سورة آل عمران ، الآيتان ٣٣، ٣٤

(قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ
وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا
فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾)[1].

---

[1] سورة البقرة – الآيات ٣٠ – ٣٩

قال تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ
ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ
مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا
يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ
﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا
مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾
فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا
وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾)

وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا
ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ
لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

(يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ
ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ
ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ
عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ
لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾)[1].

---
[1] سورة الاعراف ، الآيات ١٠ – ٢٥.

قال تعالى: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ
ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا
عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ
أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ
ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً
ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ
وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾)[1]

---

[1] سورة طه ، الآيات ١١٤ – ١٢٥.

قــال تعــالى: (وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾)[1]

قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور: لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أوحى إلى الأرض أني خالق من آديمك خلقاً ، فمنهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار) لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة ما الله خالق خلقاً أكرم عليه منا، وأعلم منا فابتلوا بخلق آدم.

كما ابتلت السموات والأرض بالطاعة، قال تعالى: (ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾)[2]. روى البخاري عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله (ﷺ) بيدي وقال: خلق الله التربة يوم السبت. وخلق الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاث وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة . آخر خلق خلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل" وهكذا رواه مسلم والإمام أحمد عن أبي هريرة. وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية قال:- (ذكر السدي عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا:- (فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني

---

[1] سورة الحجر، الآيتان ٢٧، ٢٨.

[2] سورة فصلت – الآية ١١.

أو تشينني[1] فرجع ولم يأخذ من مكان واحد، وعزرائيل أخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طيناً لازب. واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض.

قال تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ)[2].

ثم قال للملائكة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾)[3]

وشاءت إرادته واقتضت حكمة الله أن يخلق آدم. قال رسول الله ﷺ (إن الله خلق آدم من قبضة من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك. والسهل والحزن وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك). رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان وصححه من حديث أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي ﷺ. وقال الترمذي حسن صحيح. وقال الإمام أحمد في مسنده عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك. والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك).

---

[1] شـان: عـاب

[2] سورة طه – الآية ٥٥

[3] سورة الحجر – الآيتان ٢٨، ٢٩

ذكر ابن إياس الحنفي في كتابه قال: قال الثعلبي: بعث الله جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بقبضة منها فلما أتاها جبريل عليه السلام أقسمت عليه وقالت: إني أعوذ بعزة الله الذي أرسلك ألا تأخذ مني شيئاً يكون للنار فيه نصيب. فلم يأخذ منها شيئاً ورجع إلى ربه وقال: يا رب قد استعاذت بك مني فكرهت أن آخذ منها شيئاً، فأمر الله ميكائيل أن يمضي إليها ويقبض منها قبضة من تراب فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لجبرائيل فبر قسمها ولم يأخذ منها شيئاً .

فأرسل الله إليها عزرائيل فلما هبط إليها وكزها بحربة كانت معه فاضطربت فمد يده إليها فأقسمت عليه وقالت له مثل ما قالت لأخوية فقال لها: أمر الله خير من قسمك وقبض قبضة من زواياها الأربع من جميع أديمها من أسودها وأبيضها وأحمرها من سهلها وجبلها وأعاليها وأسافلها ثم أتى بتلك القبضة بين يدي الله تعالى، فقال الله تعالى له لما لم تجبها وقد أقسمت بي عليك؟ فقال: يا رب أمرك أوجب وخوفك أرهب، فقال له: اذن أنت ملك الموت وقابض الأرواح ومنزعها من الأشباح ولم يكن قبل ذلك ملك الموت، قال: فلما قبض منها ومضى بكت على ما نقص منها فأوحى الله إليها أني سوف أرد إليك ما أخذت منك ولذلك قوله تعالى عز من قائل:

(مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾)[1].

ثم أن الله تعالى أمر عزرائيل أن يضع تلك القبضة على باب الجنة فلما وضعا أمر الله رضوان خازن الجنان أن يعجنها بماء النسيم

---

[1] سورة طه – الآية ٥٥.

(قال ابن كثير. قبل التراب حتى عاد طيناً لازب) وقال ابن إياس عن الثعلبي قال: ثم أمر الله تعالى جبرائيل بأن يأتي بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض فخلق منها الأنبياء

قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾)[1].

قال ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء صفحة ٥٣. قال الإمام أحمد عن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال: " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: لو كان لك ما على الأرض من شئ أكنت مفتديا به؟ قال: فيقول نعم. فيقول: قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئاً. فأبيت إلا أن تشرك بي." والحديث للبخاري (٣٣٤/١/٦٠ فتح الباري) ورواه مسلم في صحيحه (٥٢/١٠/٥٠) اخرجاه من حديث شعبة به. ورواه أحمد في مسنده (١٢٩/١٢٧/٣ حلبي).

وقال ابن كثير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب.

---

[1] سورة آل عمران – الآيتان ٨١، ٨٢

فـي قولــه تعــالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾)[١]

قال: فجمعهم لـه يومئـذ جمعياً مـا هـو كـائن منـه إلـى يـوم القيامـة، فخلقهـم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشـهد عليهم انفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ)

قال: فأني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشـهد عليكم أباكم آدم، ألا تقولـوا يـوم القيامـة، لـم نعلـم بهذا، إعلمـوا أنـه لا إلـه غيـري ولا رب غيـري ولا تشـركوا بـي شـيئاً، وأنــي سأرسـل إلـيكم رسـلاً ينـذرونكم عهـدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتابي قالوا: نشهد أنك ربنـا وإلهنـا، لا رب لنـا غيـرك، ولا إله لنـا غيرك، فاقروا يومئـذ بالطاعـة، ورفـع أبـاهم آدم فنظـر إلـيهم فـرأى فيهم الغنى والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لما سويت بين عبادك؟ فقـال: أنـي أحببت أن أشكر. ورأي فيهم الأنبيـاء مثل السرج عليهم النور، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول الله تعالى:

---

[١] سورة الأنعام – الآية ١٧٢، ١٧٣

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾)[1].

وفي ذلك قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾)[2]، وفي ذلك قال تعالى: (هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾)[3]، وفي ذلك قال تعالى: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾)[4]

ورواه الائمة عبد الله ابن أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردوية في تفاسيرهم من طريق أبي جعفر. وروى مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير والحسن البصري وقتادة، وبعض علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث.ثم خلط الطين بالماء. روى الإمام مسلم عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ قال: (كنت نبياً وآدم يجد لافي طينة)أى: وآدم بين الماء والطين.

قال تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾)[5].

---

[1] سورة الأحزاب – الآية ٧

[2] سورة الروم – الآية ٣٠

[3] سورة النجم – الآية ٥٦

[4] سورة الأعراف – الآية ١٠٢

[5] سورة الصافات – الآية ١١.

ولما خلط التراب بالماء قال ابن إياس: حتى صارت معجنة كبيرة. قال تعالى: (وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧)[1]. وقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦)[2].

وقال الشيخ محمد جاد المولى رحمه الله في كتاب قصص القرآن الكريم: سوىَّ آدم من صلصال من حمأ مسنون (الحمأ) أي: الطين الأسود و(المسنون) أي: المصور. فصوَّرآدم بيدي الله وأظهر آدم إلى الوجود فكان "طوله ستين ذراعاً"كما قا ل البخارى عن أبى هريرة. وقال ابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور: وجعل فيه ثلاثمائة وستون عرقاً ومائتين وأربعون عصباً واثنتي عشر مفصلاً وفي رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك.

وأتم خلقه(فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤)[3]. وقال ابن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله تعالى ثلاثة بيده الأول آدم والثاني شجرة طوبى والثالث الألواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة (إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢)[4].

وقال ابن كثير فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه فخلقه بشرا جسداً من طين.

---

[1] سورة السجدة – الآية ٧

[2] سورة الحجر – الآية ٢٦.

[3] سورة المؤمنون – الآية ١٤

[4] سورة يس – الآية ٨٢.

وقال ابن إياس. وألقاه على باب الجنة على طريق الملائكة أربعين سنة.

وقـــال تعـــالى: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١)[1].

من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعاً ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكـون لـه صلصلة فـذلك حـين يقـول (خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤)[2]. ويقول: لأمر ما خُلقت ودخل من فِيهِ وخرج من دبره وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل وقال ابن إياس الحين قال ابن عباس: (أربعين سنة).

وقال ابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور: إن الله تعالى لما عجن طينة آدم عليه السلام أمطر عليها سحائب الهموم والحزن أربعين سنة ثم أمطر عليها السرور والفرح سنة واحدة فلذلك صار الهم أكثر من الفرح والحزن أكثر من السرور.

قـــال تعـــالى: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١)[3]. ذكر ابن كثير في البداية والنهاية قال: روى ابن عساكر

[1] سورة الإنسان – الآية ١

[2] سورة الرحمن – الآية ١٤

[3] سورة الإنسان – الآية ١.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طيناً ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار قال: فكان إبليس يمر به فيقول له لقد خُلِقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة ربه فقال الله: يرحمك ربك.

وقال ابن كثير فلما بلغ الحين الذي يريده الله عز وجل قال تعالى: (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾)[1].

وقال ابن كثير فلما أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾)[2].

فلما نفخ فيه الروح فدخلت الروح رأسه ولذلك سُمّيت الرأس يافوخاً ثم عطس فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال الحمد لله: فقال له الله: رحمك ربك، قال ابن كثير في كتاب قصص الأنبياء صفحة ٤٥ : " وقد رواه الحافظ أبو بكر البزاز عن أبي هريرة قال لما خلق الله آدم عطس فقال: (الحمد لله) وقال له ربه: (رحمك ربك يا آدم). فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح

[1] سورة الإنسان – الآية ١.

[2] سورة الحجرة – الآية ٢٩

إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول الله تعالى:(خُلِقَ ٱلۡإِنسَـٰنُ مِنۡ عَجَلٍ)[1]. ذكر الشيخ محمد جاد المولى رحمه الله في كتاب قصص القرآن الكريم قوله تعالى: (ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ) [2].

فسارت فيه نسمة الحياة وسار (بَشَرًا سَوِيًّا)[3]. (خلق الله آدم و طوله ستون ذراعاً). رواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. قال ابن إياس في بدائع الزهور: قال العزيري أن الروح دخلت جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهي من ساعات الآخرة ثم أن الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجاً من الذهب مرصعاً بالجواهر وله أربعة أركان في كل ركن منه درة عظيمة يغلب ضوؤها ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة (الأنبياء) ومنطقه بمنطقة الرضوان وسروله بسروال من السندس الأخضر.

ثم ظهر في جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد ﷺ.
ثم أمر الملائكة أن تحمله على أكتافها ويطوفوا به في السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به حتى رأى ما فيها من العجائبية ثم أمر الله تعالى ان ينصب له منبراً من الذهب روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك) فقال:

---

[1] سورةالأنبياء – الآية ٣٧

[2] سورة السجدة – الآية ٩

[3] سورة مريم – الآية ١٧.

السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن.) أخرجه البخاري عن أبي هريرة. قال ابن إياس الحنفي: قال العزيري. ثم أن آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور، وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائماً وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم: السلام عليكم يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته. فقالت الملائكة: وعليك السلام يا صفوة الله ورحمته وبركاته. فقال الله: يا آدم هذه تحية لك ولأولادك إلي يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة في الخطبة فأول من خطب على المنبر آدم في

يوم الجمعة ثم أن الله تعالى عرض الأسماء كلها على الملائكة أجمعين، فقالوا:(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

(قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾)[1]

[1] سورة البقرة . الآيات ٣١ – ٣٣

قال وهب ابن منبه: (أول من أفشى السلام آدم). وفي بعض الأخبار ما أفشى السلام قوم إلا أمنوا من العذاب والنقمة. ذكره ابن إياس في بدائع الزهور في وقائع الدهور صفحة ٣٤. وقال أيضاً: قالت الملائكة: إلهنا ، ما خلقت خلقاً أفضل منا فقال الله تعالى: أنا الذي خلقته بيدي وقلت له كن فكان، ثم أن الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم فكان أول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل وقال ابن كثير أول من سجد منهم إسرافيل .

ثم قال ابن إياس عن العزيري ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم أن الله تعالى أمر ابليس بالسجود لآدم فأبى وامتنع من السجود فقال الله تعالى له: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾)[1].

قال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٦٦: قال الحسن البصري: قاسَ ابليس وهو أول من قاس. وقال ابن كثير: قال محمد بن سرين: أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس. رواهما ابن جرير ومعنى هذا قال ابن كثير: أنه نظر إلى نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود.

والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار. ثم هو فاسد في نفسه وإن الطين أنفع وخير من النار، فإن الطين فيه الرزانة والحلم والأناه. أي: الرفق والنمو والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق. ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه ولهذا أمر الملائكة بالسجود.

---

[1] سورة الأعراف – الآية ٧٧

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾[5].

---

[1] سورة الأعراف، الآيتان ١٠، ١١

[2] سورة البقرة الآية ٣٤.

[3] سورة الأعراف – الآية ١٣

[4] سورة البقرة الآية ٣٠

[5] سورة ص الآيتان، ٧٦، ٧٧

ولقد مكن الله تعالى بني آدم وجعل لهم معايش يعيشون بها ولكنهم قليلون الشكر لله على ذلك. علماً بأنه سبحانه الخالق وله في كل شئ آية تدل على أنه واحد. أوجد الوجود وخلق كل شئ من العدم ، الذي خلق آدم أبا البشر وصوره من طين وصور في ظهره ذريته ثم أمر الملائكة بالسجود لآدم – عليه السلام – سجود تحية بالانحناء وهذه كرامة عظيمة وامتنان من الله تعالى لآدم بما اختصه بأسماء كل شئ.

ولما رأت الملائكة ما أعطى لآدم وذريته من شرف وفضل وكرمة بالعلم والعقل والتعليم فلما رأوا ذلك أقروا له بالفضل (فسجدوا أجمعين لآدم) استجابة لربهم خاضعين لأمره وأقبلوا على آدم معظمين (إِلَّآ إِبۡلِيسَ) أبا الجن كان مع الملائكة (أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ) وانحاز إلى معصيته وخانه طبعه الذي خلق منه. وقد بيَّن ذلك لما سأله ربه عن امتناعه عن سبب السجود لآدم. واستنبأه حكمة تخلفه بقوله تعالى (مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾)[1]

فزعم أنه خيرٌ منه عنصراً، وأزكى منه جوهراً، وأن لا يباديه في علو قدره ولا يستشرف إلى سمو مكانته وقال (أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾)[2]

---

[1] سورة ص – الآيه ٧٥.

[2] سورة الأعراف – الآية ١٢

جهر بالعصيان وصرح عن المخالفة والبهتان ، واستكبر عن أمر ربه ورأى نفسه أشرف من آدم واغتر وقال (أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ)[1] واستنكف أن يسجد لآدم الذي خلقه الله بيده، فصار من الكافرين (قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا)[2] أي: إنزل من الجنة وأخرج منها وقيل من السماء ولا تجلس في حضرتي (فَمَا يَكُونُ لَكَ) ولا ينبغي (لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾) الذاليلين. فجازاه الله وعاقبه على مخالفته وناداه الله قائلاً له (فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾)[3] أي: مبعَد عن الرحمة مطرود ملعون بسبب امتناعك عن الطاعة بالسجود وإغرارك وتكبرك على آدم وأنا الذي خلقته بيدي. وأنا الذي أمرت. فانحاز إبليس إلى المعصية وخانه طبعه فكان (مَذْءُومًا مَّدْحُورًا)[4] فسأل ربه و (قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾)[5] أن يمده في الحياة حتى يوم القيامة. فأجاب الله سؤله وتحققت رغبته. ولم يشكر لله فضله ، بل قابل نعمته بالكفران، وفضله بالجحود والنكران وقال: (فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾)[6]

---

[1] سورة الإسراء – الآية ٦٢

[2] سورة الأعراف – الآية ١٣

[3] سورة الحجر – الآية ٣٤.

[4] سورة الأعراف – الآية ١٨.

[5] سورة الأعراف – الآية ١٤

[6] سورة الأعراف – الآية ١٦.

متربصداً لغوايتهم جاهداً قال (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾)[1]

ثم جاهد في إضلالهم فقال (لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾)[2] فطرده الله من حضرته ومد له في أمله وقال لإبليس أمضي لسبيلك الذي اخترته، وسر في طريق الشر الذي أردته (وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡ)[3] (وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾) خرج عن طاعة ربه عمداً وعناداً واستكباراً عن الامتثال و ما ذاك إلا لأنه خانه طبعه ومادته الخبيثة وهو أحوج ما كان إليها لأنه خلق (مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾)[4].

فقال له: استفزهم من أماكنهم وقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجندك من الخيالة ورجالك حتى تستأصلهم. وعدهم المواعيد الكاذبة، ومنهم الأماني البعيدة. فلن أخلي بينك وبين من صحت عقيدته، وقويت عزيمته من عبادة المخلصين ، فلن أجعل لك سلطاناً. فقلوبهم عنك منصرفة، وآذانهم لقولك غير مصغية (إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾)[5]

---

[1] سورة الاسراء – الآية ٦٢

[2] سورة الاعراف – الآية ١٧

[3] سورة الإسراء – الآية ٦٤

[4] سورة الحجر – الآية ٢٧.

[5] سورة الإسراء – الآية ٦٥.

أمـــا مـــا اعتزمتـــه (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾)[1]

وفي الحديث الصحيح للإمام مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

(إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتي أمر الله ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي لنار).

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها وعن النبي ﷺ قال:

(خلق الجان من مارج من نار) وذكر في القرآن الكريم ، قال تعالى: (وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾)[2].

وقال ابن كثير عن ابن جرير قال: ابن عباس رضي الله عنهما: وهو أن معنى قوله: (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾)[3] أي: واعلم مع علمي (غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)[4] ما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في أنفسكم فلا يخفى على شئ سواء عندي سرائركم وعلا نيتكم والذي أظهروه قولهم (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ)[5].

والذي كانوا يكتمون ما كان عليه منطوياً إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته. والمعنى: أما الملائكة سجدوا واعترفوا بفضل الله على آدم وأقروا بأنه خيرٌ منهم مقاماً وأقرب منهم إلى الله تعالى مكاناً.

---

[1] سورة الإسراء – الآيه ٦٣.

[2] سورة الرحمن – الآية ١٥

[3] سورة البقرة – الآية ٣٤.

[4] سورة البقره – الآية ٣٣.

[5] سورة البقرة – الآية ٣٠

ولعلهم قد ظنوا أنهم ربما كانوا أغزر منه علماً، وأكثر منه دراية وفهماً، ولذلك أتاه الله من علمه، وأفاض عليه من نوره، وعلمه أسماء الكائنات كلها، ثم عرض هذه الكائنات على الملائكة فقال (أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾)[1] ليظهر عجزهم، ويستبين قصور علمهم، ويعترفوا أن حكمة الله قد اقتضت بأن يكون آدم أولى بذلك وأجدر، وأن خلافته أحق ألا تنكر. بهتوا لما وُوجهوا به: وسقط في أيديهم حينما حاولوا البحث في طوايا نفوسه، وأرادوا الرجوع إلى سابق علمهم (قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾)[2] أي: نقر لك يا ربنا بالعبودية بالتسبيح والتمجيد والتقديس والتحميد. ولا علم لنا بقدر ما علمت. وكان آدم قد اغترف من فيض ربه، واقتبس من نور علمه وقد علمه أسماء كل شئ. وأمره الله سبحانه وتعالى أن ينبئهم بما عجزوا عن معرفته، ويخبرهم بما قصرت مداركهم عن علمه، بياناً لفضله سبحانه، إظهاراً لحكمة استخلافه. فأخبرهم خليفة الله بما عجزوا عنه فناداهم ربهم (قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾)[3] حينئذ تبينوا فضله. وأدركوا سر خلقه، وظهرت لهم حكمة استخلافه.

---

[1] سورة البقرة – الآية ٣١

[2] سورة البقرة – الآية ٣٢

[3] سورة البقرة – الآية ٣٣.

قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ)[1] وأقبل على آدم وأوحى إليه أن اذكر نعمتي عليك، فإني خلقتك ببديع فطرتي، وسويتك بشراً على مشيئتي، ونفخت فيك من روحي، وأسجدت لك ملائكتي، وأفضت عليك قبساً من علمي، وهذا إبليس أذاق بأسي، وسلبته نعمتي وقد أيأسته من رحمتي ولعنته حين خرج عن طاعتي، وها هي ذي جنتي دار الخلد جعلتها لك منزلاً ومقاماً. فإن أطعت كافأتك بالإحسان وخلدتك في الجنان. وإن تركت عهدي أخرجتك من داري وعذبتك بناري. ثم لا تنس أن إبليس هذا عدو لك.

قال ابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور عن العزيري، قال: فلما نزل آدم عن المنبر جلس بين الملائكة فألقى الله عليه النوم ؛ لأن فيه راحة للبدن، فلما نام رأى حواء في منامه قبل أن تخلق فمال إليها حين نظرها ثم أخرجها الله من ضلعه الأيسر فخلقت من آدم حواء على هيئته وأحسن الله خلقها وأعطاها حسن ألف حورية فكانت أحسن النساء اللاتي هن بناتها إلى يوم القيامة.

وكان لها ضفائر من الشعر وكانت على طول آدم وألبسها الله من الجنة الحُلي فكانت تشرق إشراقاً أبهى من الشمس فانتبه آدم من منامه فوجدها بجانبه فأعجبته وألقى الشهوة في آدم فهم بها فقيل له لا تفعل حتى تؤدي صداقها ، فقال وما صداقها قال: قد نهيتك عن شجرة الحنطة فلا تأكل منها فهو صداقها.

---

[1] سورة الأنعام – الآية ١٦٥

قال ابن إياس قال العزيري: وقيل أن الله تعالى قال: إعطها صداقها. قال: وما صداقها: قال الصلاة على نبيي وحبيبي محمد فقال آدم يا رب وما يكون محمد؟ قال: إنه من أولادك وهو آخر الأنبياء ولولاه ما خلقت خلقاً

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾)[1]

أي: أوجد من هذه النفس الواحدة زوجها حواء وهي نفس أبيكم آدم – عليه السلام، فكانت على طول آدم ، ثم أن الله تعالى مسح على ظهر آدم فأخرج منه ذريته.

قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾)[2]

---

[1] سورة النساء – الآية ١.

[2] سورة الأعراف ، الآيتان ١٧٢، ١٧٣

قال ابن إياس عن العزيري: فكانت كهيئة الذر ما بين أبيض وأسود من ذكر وأنثى وأفاض عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور كان مؤمناً ومن لم يصبه كان كافراً، ومنهم طائفة لهم نور ساطع، قال: يا رب من هؤلاء؟ قال: الأنبياء من ذريتك يا آدم، ثم زوج الله تعالى آدم بحواء، وكان ذلك يوم الجمعة بعد الزوال ولهذا سن عقد التزويج في يوم الجمعة.

وقيل كان آدم أحسن من حواء، ولكن كانت حواء ألطف وألين، ثم أوحى الله تعالى إلى رضوان خازن الجنان أن يزخرف القصور ويزين الولدان والحور وخلق لآدم فرساً من المسك الأزفر يسمى الميمون كالبرق الخاطف فلما أحضر بين يدي آدم ركبه فأخذ جبريل عليه السلام بلجام الفرس وأحضر لحواء ناقة من نواق الجنة وعليها هودج من اللؤلؤ فركبت فيه على الناقة وأخذ إسرافيل بلجام الناقة، ومشى ميكائيل بينهما عن يمينه جبريل وإسرافيل عن يساره وطافوا به في السموات كلها وهو يسلم على من يمر به من الملائكة، فتقول ما أكرمك من خلق الله على الله تعالى وحواء راكبة الناقة تطوف معه إلى أن أتوا بها إلى باب الجنة فوقفوا ببابها ساعة فأوحى الله تعالى إلى آدم هذه جنتي ودار كرامتي ادخلا فيها (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ)[1].

وأشهد عليهما الملائكة، ثم دخلا الجنة فطافت بهما في الجنان وارتهما أماكن الأنبياء والمرسلين والصالحين جميعهم، فلما وصلا إلى جنة الفردوس نظر سريراً من اللؤلؤ له سبعمائة قاعدة من الياقوت الأحمر وعليه فراش من السندس الأخضر.

---

[1] سورة البقرة – الآية ٣٥.

فقالت الملائكة يا آدم أنزل ههنا أنت وحواء فنزلا آدم وحواء وجلسا على سرير ثم أتوهما الملائكة بقطفين من عنب فكان لكل واحد قطف من العنب فأكلا وشربا وارتعا في رياض الجنة.

قال تعالى: (ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا)[1]

قال الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف محمد سيد طنطاوي في المصحف الميسر بهامشه: أي أوجد من هذه النفس الواحدة زوجها حواء. وهي نفس أبيكم آدم ، فكانت على طول آدم ، قال تعالى: (يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ)[2] ولا تنسى أن إبليس هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى. أي: أباح لهما أن يأكلا من الجنة رغداً حيث شاءا، وأطلق لهما العِنان في الاجتناء ما يريدان من ثمارها، ونهاهما أن يقربا شجرة من بين أشجارها الكثيرة، وليزيل كل إبهام في شأنها، وشك في معرفتها، أشار إليها، تعييناً لها، وإزالة لكل ريب قد يترسب إلى نفسيهما، وتوعدهما أن يمد لهما في أسباب النعيم إن اجتنبا الشجرة التي نهاهما عنها، فلا يمسهما في الجنة جوع ولا عري، ولا ينالهما ظمأ ولا نصب.

فقال تعالى (ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥)[3].

[1] سورة النساء – الآية ١

[2] سورة البقرة – الآية ٣٥

[3] سورة البقرة – الآية ٣٥

قــال تعــالى: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾)[1] أي: (لا يؤذيك حر الشمس).

فكان إذا أراد المجامعة مع حواء دخل فيه من اللؤلؤ والزبرجد واسبلت عليهما ستور من السندس والاستبرق فكانت حواء إذا مشت في القصور كان خلفها من الحور العين ما لا يحصى عددهم. سكن آدم الجنة وحواء وصاروا يتمتعوا فيها من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ولعلهم كانوا يتنقلوا بين أشجارها ويتفيأوا في ظلالها، ويقتطفوا من أزهارها، ويتفكهوا بثمارها، ويدنوا من عذب مياهها. وعاشوا في معايشة المتعة كذلك مدة يرشفان من مناهل السعادة. قال ابن إياس الحنفي عن العزيري: فلما علم إبليس بدخول آدم وحواء إلى الجنة وعلم أن آدم منع من أكل شجرة الحنطة أتى باب الجنة وأقام عنده زمناً طويلاً ينتظر إلى من يأتي جهة باب الجنة. ذكر الشيخ محمد جاد المولى في كتابه قصص القرآن الكريم وقال: حزَّ ذلك في نفس إبليس، وعزَّ عليه أن ينعم آدم وزوجه، وهو مطرود من رحمة الله، مبعد عن جنته، فصحت نيته على أن يقوِّض عرش سعادتهما ويسلبهما نعمته، أليس هو آدم الذي أنزله من عليانه، وأبعده عن نعمة الله ورضائه، واستبان بسببه جحوده ونكرانه ! فليقدم على الثأر لنفسه، وليحاول أن يتنقص ذلك الذي أمر بالسجود له والاعتراف بفضله. فتحدث في سر وخفاء، واندلف إلى باب الجنة لما رأى الطاووس. قال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور في وقائع الدهور: قال النيسابوري: فكان إبليس ينظر إلى من يأتي جهة باب الجنة كما يزعم سراً.

---

[1] سورة طه – الآيتان ١١٨، ١١٩

فجاء طائر مليح الملبوس يقال له الطاووس، وكان سيد طيور أهل الجنة، فلما رآه إبليس تقدم إليه. وقال ابن كثير عن ابن جرير قال ومعلوم أنه خلق (آدم) في آخر ساعة من يوم الجمعة والساعة منه ثلاث وثمانون وأربعة أشهر، والله أعلم.

فقد انتظر إبليس على باب الجنة وقتاً طويلاً وهو يحاول الدخول ليفسد عليهم حياتهما ويريد الوصول بأي حال من الأحوال ليدخل الجنة كما يزعم سراً. أي: وهو يريد الوصول إلى آدم ليحدثه في سر وخفاء، ليوهمه بأنه صادق الود مخلص في النصح. وقال ابن إياس الحنفي عن النيسابوري قال: فلما رأى الطاووس تقدم إليه وقال أيها الطائر المبارك من أين جئت؟ فقال من بساتين آدم: فقال إبليس: إن لك عندي نصيحة وأريد أن تدخلني معك، فقال: ولما لم تدخل بنفسك؟ فقال إبليس: إنما أريد أن أدخل سراً. فقال الطاووس: لا سبيل إلى ذلك، ولكني آتيك بمن يدخلك سراً. فذهب الطاووس إلى الحية ولم يكن في الجنة أحسن منها خلقاً، فكان رأسها من الياقوت الأحمر وعيناها من الزبرجد الأخضر ولسانها من الكافور وقوامها مثل قوائم البعير، فقال لها الطاووس أن على باب الجنة ملكاً من المكرمين ومعه نصيحة فأسرعت الحية إليه فقال لها: هل لكِ أن تدخليني الجنة سراً ولكِ مني نصيحة؟ فقالت الحية: وكيف الحيلة على رضوان؟ " حارس الجنة" فقال لها: إفتحي فاك. ففتحته فدخل فيه إبليس وقال لها: ضعيني عند شجرة الحنطة، فوضعته عندها فأخرج إبليس مزمار وزمَّر تزميراً لطيفاً ، فلما سمع آدم وحواء المزمار جاءوا ليسمعا ذلك.

فلما وصلا إلى شجرة الحنطة قال تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾)[1]

قال إبليس: تقدم إلى هذه الشجرة يا آدم، فقال: ممنوع منها؟ فقال إبليس: (وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾)[2].

فإن من أكل من هذه الشجرة لا يشيب ولا يهرم، ثم أقسم بالله أنها لا تضرهما وأنه لمن الناصحين لهما. فظن آدم أنه لا يتجاسر أحد على أن يحلف بالله كاذباً وظن أنه من الناصحين. (وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ)[3].

قال الشيخ محمد جاد المولى في كتاب قصص القرآن الكريم: وأظهر إبليس له ولزوجه عطفه عليهما وإشفاقه من زوال نعمتهما، فقال: (مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾)[4] ولما شام منهما مجافاة لرأيه، وبعداً عن مشورته، ورأى أن آذانهما صمت عن سماع صوته والإصاخة إلى نصيحته، أقسم لهما أنه من الناصحين، لا يقصد إلى ضررهما، ولا يريد النكاية بهما، ليؤكد صحة قصده، وصواب رأيه.

---

[1] سورة طه – الآية ١١٥.

[2] سورة الأعراف – الآية ٢٠

[3] سورة الأعراف – الآية ٢١.

[4] سورة الأعراف – الآية ٢٠.

ولا شك أنه أكثر وألح وتمادى في إغوائه وألحف، وحاول إغراءهما بطيب ريح تلك الشجرة، وبديع طعمها، وحسن لونها. فاغترا بقوله، وافتتنا بزخرف لفظه، ومعسول وعده، وتابعا رأيه ، وذلا بإغوائه.

وقال ابن إياس الحنفي عن النيسابوري قال تعالى: (وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾)[١]. أقسم بالله أنها لا تضرهما وأنه لمن الناصحين لهما. فمن حرص حواء على الخلود في الجنة تقدمت وأكلت قبل آدم، فلما نظر آدم إليها حين أكلت ووجدها سالمة تقدم وأكل من الشجرة بعدها فلما وصلت الحبة إلى جوفه طار التاج عن رأسه وطارت الحلل أيضاً.

(سؤال) لأي شئ لما أكلت حواء من هذه الشجرة ولم تسقط الكسوة عن حواء في الحال، وآدم حين أكل سقطت عنه في الحال؟!

(الجواب) لو سقطت في الحال عن حواء لرجع آدم ولم ، يأكل وأيضاً الدابة على العاقلة ؛ لأن الأمر كان أولاً (لآدم). وقال بعض العلماء أن آدم أكل وهو ناسي قال تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾)[٢] فلما أكل آدم من الشجرة ، فابليس هز عرش السعادة سلبهما نعمة الله واستبان جحوده فتقدم على الثأر لنفسه.

وها هو آدم وحواء قد أكلا من الشجرة فبدت سوآتهما وطار الحلي وتعرى آدم وحواء وطارت الحلل فصاروا عريانين.

---

[١] سورة الأعراف – الآية ٢١

[٢] سورة طه – الآية ١١٥

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾[1]. قال الشيخ محمد جاد المولى: فلما خرجا عن أمر ربهما سلبهما نعمته، حرمهما جنته، وناداهما ربهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[2]

وقال ابن إياس الحنفي عن النيسابوري، قال: أوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام بأن يقبض على ناصية آدم وحواء ويخرجهما من الجنة فأخرجهما جبريل من الجنة. قال تعالى: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾.[3] ذكر ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٧٣ في الجزء الأول قال وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس والحية معهما بما ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ: إنه أمر بقتل الحيات، وقال: (ما سالمناهن منذ حاربناهن). وقال ابن كثير هو أمر لآدم وإبليس واستتبع آدم حواء وإبليس الحية. وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما أن كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه .

---

[1] سورة الأعراف – الآية ٢٢.

[2] سورة الأعراف – الآية ٢٢

[3] سورة طه – الآية ١٢٣

قال تعالى: (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾)[1] أما تكريره الإهباط في سورة البقرة في قوله تعالى: (قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾)[2].

فدل على أنهم اهبطوا إلى الأرض والله أعلم. والصحيح أنه كرره لفظاً وإن كان واحداً وناط مع كل مرة حكماً قناط بالأول عداوتهم فيما بينهم. وبالثاني الاشتراط عليهم أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الأسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الحكيم. قال الشيخ محمد جاد المولى في كتاب قصص القرآن الكريم: (تاب الله عليهما). أي: آدم وحواء. وغفر لهما زلتهما ، فأثلج ذلك صدرهما، وقرت به عينهما وانبثق الأمل في نفسيهما بالبقاء في الجنة، والتمتع بنعيمها. وقد علم الله ما جال بخاطرهما، ووقف على ما تطلعت إليه نفسهما، فأمرهما بالهبوط منها وأنبأهما أن العداوة بينهما وبين إبليس ستظل قائمة. ليحذر فتنته، ولا يصغيا إلى إغوانه ، فقال: (قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾)[3]

---

[1] سورة الأنبياء – الآية ٧٨

[2] سورة البقرة – الآية ٣٨

[3] سورة طه – الآية ١٢٣

فجعل له مأرباً في الحياة، وأملاً يسعى إليه، وأخبره أنه قد انتهى طور النعيم الخاص والراحة التامة، وأنه بعد خروجه من الجنة وحرمانه نعيمها قد دخل في طور له فيه طريقان. هدى وضلال، إيمان وكفر، فلاح وخسران.

قال تعالى: (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) فمن اتبع هدى الله الذي شرعه، وسلك الصراط المستقيم الذي حدده ، فلا خوف عليه من وسوسة الشيطان وإغوائه. ومن أعرض عن ذكر الله، وحاد سبيله فسيكون عيشته ضنكا (وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾)[1] وسيكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. أما عن احتجاج آدم وموسى، قال ابن كثير في قصص الأنبياء صفحة ٤٢، ٤٣ ما دار معظمها في الصحيحين وغيرهما على أنه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة. روى الإمام أحمد في مسنده (٣٩٢/٢/ حلبي) وقال ابن أبي حاتم عن يزيد بن هرمز، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم موسى عند ربهما فحج آدم موسى، قال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، ثم أهبطت للناس إلى الأرض بخطيئتك؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ، وقربك نجيا؟ فبكم وجدت فيها: (وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾)[2]

---

[1] سورة طه – الآية ١٢٤

[2] سورة طه – الآية ١٢١

قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كُتِب علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة). قال: قال رسول الله ﷺ (فحجَّ آدم موسى). روى البخاري في صحيحه (٤٧٣٨/٣/٦٥/ فتح الباري ورواه مسلم في صحيحه ٢٦٥٢/٢/٤٦ من طريق عمرو الناقد والبخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (حاج موسى آدم) عليهما السلام فقال له: أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن يخلقني، أو قدره علي قبل أن يخلقني؟). قال رسول الله ﷺ: (فحج آدم موسى). وما دار بينهما قيل لأنهما في دار البرزخ وقد انقطع التكليف فيما يزعمون ؛ لأنه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة، فقال له آدم: أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على أكلي من الشجرة، والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق، هو الله عز وجل، أنت تلومني على أمر ليس له نسبة إلي أكثر من أني نُهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها، وكون هذا الإخراج مُرتباً على ذلك ليس من فعلي، فأنا لم أخرجكم ولا نفسي من الجنة، وإنما كان هذا من قدر الله وصنعه، وله الحكمة في ذلك. فلهذا حجَّ آدم موسى. أحدهما: أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب عنه فاعله. والثاني: أنه قتل نفساً لم يؤمر بقتلها، وقد سأل الله في ذلك بقوله(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ)[١].

---

[١] سورة القصص – الآية ١٦

ثالث: أنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد، لا نفتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله، فيحتج بالقدر السابق فينسد باب القصاص والحدود، ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الأمر إذا ارتكبه في الأمور الكبار والصغار، وهذا يفضي إلى لوازم فظيعة. فلهذا قال من قال من العلماء، بأن جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالقدر على المعصية والله تعالى أعلم. ذكر ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٧٤ قال: وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال: أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول العفو العفو. فقال الله: أفراراً مني؟ قال: بل حياءً منك يا سيدي). قال ابن كثير وروى ابن عساكر وقال الأوزعي عن حسان هو ابن عطية: مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاماً وبكى على الجنة سبعين عاماً وعلى خطئيته سبعين عاماً وعلى ولده حين قُتل أربعين عاماً: رواه ابن عساكر. قال ابن كثير صفحة ٧٤ في كتاب البداية والنهاية روى ابن أبي حاتم وقال عن جرير عن سعيد عن ابن عباس قال: (أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال له دحنا بين مكة والطائف. وقال ابن كثير وعن الحسن قال أهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان. وقال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٧٤ وقال السدي: نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك. وقال ابن كثير وقال الحاكم في مستدركه عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: اسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ثم قال على شرط الشيخان ولم يخرجاه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها) وفي وجه آخر وفيه تقوم الساعة. وقال ابن كثير قال الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة) على شرط مسلم. قال ابن إياس في كتابه: قال كعب الأحبار: لما صار آدم عرياناً ثم أخذ جبريل بيد آدم وهو عريان مكشوف الرأس فهبط به إلى الأرض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط به إلى الأرض عند غروب الشمس من يوم الجمعة فأهبط على جبل من جبال الهند يقال له الراهون، وتقدمت صفة هذا الجبل في ذكر الجبال. وأما حواء فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض وانقطع عنها ذكر النسب فيقال أولاد آدم ولا يقال أولاد حواء؛ لأنها غرت آدم مع إبليس حيث ابتدأت بالأكل. وهبطت حواء عند ساحل البحر المالح بجدة، قال الله تعالى: (قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾)[1]. وأما إبليس اللعين فإنه يخرج عن طور الملائكة وصار شيطاناً رجيماً فلما هبط من الجنة نزل بأرض العراق نحو البصرة. قال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما هبط إبليس فجمع من في الأرض من الشياطين.

[1] سورة الأعراف – الآية ٢٤.

وأما الطاووس ذهبت عنه الجواهر وبعض الحسن وهبط أيضاً إلى الأرض ونزل في أرض بابل وقيل بأرض أنطاكية، وأما الحية فمسخ شكلها وصار فيها السم وسببه أن إبليس اختبأ تحت نيابها وأدخلته الجنة وخرس لسانها وصارت تمشي على بطنها زحفاً ونزلت إلى الأرض بأصبهان.

وقال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور : قال ابن عباس كانت إقامة آدم وحواء في الجنة مدة نصف يوم من أيام الآخرة وهو مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا. قال تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾)[1] فلما أهبط آدم ألقى الله عليه النوم فنام، فألقى الله النوم على جميع من في الأرض من الحيوانات والوحوش والطير وكل شئ فيه روح، فسُمّيَ ذلك يوم السبت، فلما طلع النهار ورأى آدم الشمس وهي تدور مع الفلك تعجب من ذلك، فلما تعالت في الفلك أحرقت جسد آدم ؛ لأنه كان عرياناً مكشوف الرأس، فأتاه جبريل فشكا إليه من ذلك، فمسح على رأسه بيده فحط من ذلك الطول . روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة:(خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً). فمضى جبريل إلى حواء ومعه كبش من الجنة فقص من صوفه ودفعه إلى حواء وعلمها كيف تغزل الصوف. فلما علمها غزلته وعلمها كيف تنسجه فنسجت لآدم عباءة فأخذها جبريل ومضى بها إلى آدم فستر بها جسده، ولم يقل له ان هذه العباءة من عند حواء ثم شكا من الجوع؛ لأنه أقام وقتاً طويلاً لم يأكل ولم يشرب فمضى جبريل وأتاه بثورين من الجنة أحدهما أسود والآخر أحمر وعلمه كيف يحرث فحرث، ثم أتاه بكف من الحنطة وعلمه كيف يزرع فزرع.

[1] سورة الحج – الآية ٤٧

وقام بينهما آدم يحرث في الأرض إذ وقف أحد الثورين فضربه بعصا كانت بيده فانطق الله تعالى ذلك الثور فقال: لِما ضربتني؟ فقال: لأجل مخلفتك لي فقال له الثور: لطف الله بك، حيث لم يضربك حين خالفته. فبكى آدم، وقال إلهي صار كل شئ يوبخني حتى البهائم فأمر الله جبريل أن يمسح على لسان البهائم فأخرست وكانت البهائم تتكلم قبل هبوط آدم إلى الأرض فلما زرع آدم نبت في الحال وأسبل وأدرك القمح من يومه فعلمه جبريل كيف يحصد فحصد، ودرس وذرى في الهواء فقال آدم لجبريل: آكل؟ فقال: إصبر. ثم قطع من الجبل حجرين فطحن بهما فلما صار دقيقاً قال آدم: آكل به؟ فقال: إصبر. ثم آتاه بشرارة نار من نار جهنم بعد أن غمسها في الماء سبع مرات، ولولا ذلك لأحرقت الأرض ومن عليها، ثم أن جبريل علمه كيف يخبز فخبز، ثم قال لجبريل: آكل؟ فقال: إصبر. فلما غربت الشمس، وضع آدم الرغيف بين يديه ومد يده ليأخذ من الرغيف لقمة ففر الرغيف من بين يديه وسقط من أعلى الجبل فتبعه آدم وأخذه فقال له جبريل: لو صبرت لأتاك الرغيف من غير أن تقوم إليه. وقال ابن إياس الحنفي في كتابه: قال "روى": أن آدم لما أكل من الرغيف ادخر منه إلى الليلة المقابلة. فقال له جبريل لولا أنك فعلت ذلك لما كان أحد من أولادك يدخر فصار ذلك عادة لبني آدم.

قال ابن إياس في كتابه: قال ابن عباس رضي الله عنهما: فقال يوماً آدم لجبرائيل: يا جبرائيل هل حواء على قيد الحياة أم ماتت؟ فقال: بل في قيد الحياة وإنها أصلح حالاً منك؛ لأنها على ساحل البحر تصطاد الأسماك، وتأكل منها. فقال آدم: يا جبرائيل إني رأيتها في منامي في هذه الليلة. فقال جبرائيل: يا آدم أبشر فما أراك الله إياها قرب الاجتماع.

فلما انقضت أيام المحنة عن آدم عليه السلام. وتاب فتاب الله عليه وهو قوله تعالى: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾)[1]. قال بعض العلماء ألهمه الله أن يقول:(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾)[2].

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية قال: عن ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يا آدم إن لي حرماً بحيال عرشي، فانطلق فابني لي بيتا، فطف به كما تطوف ملائكتي بعرشي، وأرسل الله له ملكاً فعرفه وعلّمه المناسك، وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك، وقيل أو مفازة. قال ابن إياس عن الثعلبي قال: ثم أن الله تعالى أوحى إلى آدم بأن إرحل من أرض الهند إلى مكة وطف حول مكان البيت وإسألني المغفرة فأغفر لك خطيئتك. قيل أن الله تعالى أنزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وذلك مكان الحشفة البيضاء التي امتدت منها الأرض كما تقدم عن العسقلاني في فتح البحاري: دحيت الأرض من تحتها وقال ابن إياس عن الثعلبي في كتابه قال: وجعل من داخلها قناديل من ذهب تضئ بالنور، ثم أرسل الله لآدم ملكاً يقوده ويرشده إلى طريق مكة وانزل عليه عصا من شجرة الآس. كل مكان وضع عليه قدمه يصير قرية بركة خطا آدم وموضع قدمه، فلما دخل آدم مكة أوحى الله تعالى إليه أن يطوف بذلك البيت فطاف به آدم حول الكعبة سبعاً مكشوف الرأس عريان الجسد، وذلك سنة الحج.

---

[1] سورة البقرة – الآية ٣٧

[2] سورة الأعراف – الآية ٢٣

فلما فعل ذلك آدم غفر الله له خطيئته وتاب عليه وصار الطواف يكفر الذنوب. فقد نلنا الخلاص من بين يدي إبليس. وإن في طوافنا دائرة السوء عليه. قال ابن إياس في كتابه: قال رسول الله ﷺ أنه قال: (إن إبليس اللعين قال يا رب إن شأن عبادك عجيب. أحبوك وعصوك وأبغضوني وأطاعوني. فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي وجلالي لأجعلن جهنم لي كفارة لطاعتك وبغضهم لك كفارة لمعصيتي. قال ابن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما: فقال: ولما تاب آدم أمره الله تعالى أن يخرج إلى عرفات فلما خرج إلى عرفات وقف بها وإذا بحواء أقبلت نحو آدم فاجتمعا على ذلك الجبل. فمن يومئذ صار الوقوف على ذلك الجبل سنة الحاج، وإنما سُمِّيَ عرفات ؛ لأن آدم وحواء تعارفا فيه، ثم إن آدم أقام في مكة مدة يسيرة ثم ارتحل إلى أرض الهند هو وحواء. إن آدم لما خرج من الجنة تستر بورق فلما صار في الأرض يبس الورق وتناثر على الأرض فجميع ما في الهند من الروائح الطيبة سببها ذلك. وإن الله أنزل على آدم ثمانية أزواج من الأنعام.

وأنه قال تعالى: (ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ)[1]

[1] سورة الأنعام – الآية ١٤٣، ١٤٤

وأمره أن يشرب من ألبانها ويكتسي من أصوافها. وكان آدم وحواء يبكيان على ما فات من نعيم الجنة وأن آدم شكا إلى الله تعالى فقال: يا رب لا أعلم أوقات العبادة فأنزل الله إليه ديكاً من الجنة على قدر الثور العظيم وهو أبيض اللون فكان إذا سمع الديك تسبيح الملائكة في السماء يسبح في الأرض فيعلم آدم من ذلك أوقات العبادة. ثم غرس الأشجار وحفر الآبار وعمر الدار، ثم أنزل الله على آدم إحدى وعشرين صحيفة فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك، وأنزل عليه حروف الهجاء وهي تسعة وعشرون حرفاً فتعلمها آدم لأجل أن يقرأ الصحف، ولا يقدر أحد أن يزيد فيها حرفاً واحداً، فإن حكم الإله محكمة متقنة. فأمر الله آدم أن يأتي زوجته فجامعها آدم. وقال ابن كثير عن مجاهد وسعيد ابن جبير وأبي العالية والربيع ابن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخرساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة). قال ابن إياس الحنفي في كتابه عن الثعلبي قال: (حملت حواء فلما تحرك الجنين في بطنها لوقته ففزعت حواء. أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة ابن أسيد الغفاري رضي الله عنه – فقال سمعت رسول الله – ﷺ – بأذني هاتين يقول: إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتصور عليها الملك قال زهير أبو خيثمة: حسبته قال: الذي يخلقها. فيقول: يا رب: أذكر أم أنثى؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي، ثم يقول: يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً، وفي رواية في كتاب الأحاديث القدسية " كيفية خلق الآدمي في بطن أمه" وفي جـ ١ حتى ١٩ هامش القسطلاني روايات متعددة عن ابن مسعود وفي كتاب الأحاديث القدسية وفي ذلك روايات كثيرة.

وفي صحيح الإمام مسلم عن حذيفة:" أن ملكاً موكلاً بالرحم، إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله لبضع وأربعين ليلة" ثم ذكر نحو حديثهم وحديثاً لمعاوية ووكيع فيقول المَلك: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب المَلك ثم يقول: يا رب، أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك ثم يخرج المَلك الصحيفة في يده، فلا يزيد على أمر ولا ينقص" وأخرج مسلم في الباب حديثاً وفي شرح القسطلاني من كتاب التوحيد-باب:

قول الله تعالى-(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾)[1].

- صفحة ٤١٦ طبعة ميري رحمه الله لأبي ذر عن الحموي والمستملي" ثم يبعث الله إليه الملك الموكل بالرحم، أي في الطور الرابع حين يتكامل بنيانه، وتتشكل أعضاؤه فيؤذن بأربع كلمات يكتبها، فيكتب من القضايا المقدرة في الأزل " رزقه " وكل ما يسوقه إليه مما ينتفع به كالعلم والرزق: حلالاً وحراماً، قليلاً وكثيراً، و " أجله": طويلاً أو قصيراً، و "عمله": أصالح أم لا؟ ، و" شقي أم سعيد " حسبما اقتضته حكمته وسبقت كلمته. " ثم ينفخ فيه الروح" بعد تمام صورته، " فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة " من الإيمان.

[1] سورة الصافات – الآية ١٧١

وقـال تعـالى: (ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ‌ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ‌ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ‌ۚ قَلِيلاً مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩)[1].

" وبدأ خلـق الانسـان" وهـو أدم "(مِن طِينٍ) فصـار بقدرتـه (سـبحانـه) على أحسن صورة (ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ). أي: سلالته (مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ). أي: من مـاء ممتهن لا يهتم بشأنه (ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ‌ۖ). أي: ثم أوجده ــ سبحانه ــ فـي صـورة حسنـة، ونفـخ فيـه مـن قدرتـه فصـار بشراً سويا. (ذكر نبأ بني آدم) .

[1] سورة السجدة – الآيات ٧ – ٩

الفصل السابع عشر
في قصة نبأ بني آدم قابيل وهابيل

حملت حواء الأم ولم تعلم ماذا يكتب للأولاد من الآجال واستكمل البنيان وتشكلت الأعضاء وقدّر في الآزال من الأرزاق والأعمال والآجال والشقاء والسعادة واقتضت حكمة الله وسبقت كلمته علماً بأنه من نفس حواء ولم تعلم شئ الأم والأب آدم عليهما السلام.

وقال تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾)[1]، قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾)[2]

وبدأ نظام الحياة يستكمل حينما تهيأت حواء لتستقبل أول زهرة تفتح في رياض الإنسانية. عندما تحرك الجنين في بطن أمه حواء.

---

[1] سورة السجدة – الآيتان ٨، ٩

[2] سورة الأعراف – الآية ١٨٩.

وبـدأت الحيـاة فسـرَّت الـنفس بأولادهـا أول نفحــة مــن نفحــات البشــرية، وبهم تأنس وتسعد مـع زوجهـا آدم وقد كـان شديدا الحب والشغف، أن يريـا فلـذات أكبادهمـا علـى ظهـر البسـيطة، فتمتلـئ جوانـب الأرض بنسـلهما، ويمشون في مناكبها، ويأكلون من رزق الله. ولقد كـان لزاماً علـى الأم دائماً فـي مثـل هذه الحالـة، إلا إنهـا لا تلبث حتـى تنشـئ برخـاء العطف والحنـان، فـإذا هـي قريـرة العين، بـاردة الفـؤاد، وضـعت حـواء بتـوأمين قابيـل وأختـه، وهابيل وأخته، وشب الاخوة في رعاية الأبـوين حتـى ملأتهم نضـارة الحيـاة، وقـوة الشـباب. فنزعـت:" أي مالـت " البنتـان إلـى منـازع النسـاء، وانبعث الولدان يضربان في الأرض كسباً للرزق، ابتغاءً للخير، فكان قابيل من زراع الأرض. وكـان أخـوه مـن رعـاة الأغنـام ؛ لأن الأخـوين مهـاد الحيـاة وسـهل عيشـها. وانتشـر رواق السـلام والأمـان علـى هـذه الأسـرة السـعيدة الطـاهرة. وعلـى امتـداد الـزمن، وتتـابع فسـحة الأجـل وقويـت فـي كـلا الفتيـين غريـزة الرجولـة ومـال كـل منهمـا إلـى أن تكـون لـه زوجـة ليسـكن إليهـا ويطمـئن بصحبتها، وتعلقت نفسه بذلك الأمل المعسول وراحت تـتـفقده وتـتلمس كـل سبيل حتـى تصـل إليـه، وإرادة الله جلـت حكمتـه قضـيت منـذ الأزل أن تمـتحن بنـو آدم علـى ظهـر البسـيطة، فيكثـر المـال والبنـون وتأخـذ الأرض بهجتهـا وتزين كما جرى القدر ألا يكون الناس أمة واحدة بل لابد من التكاثر.

والتباين في الرأي والمنزع والنوع والخِلقة قال تعالى:(خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦)[1].

هي نفس آدم عليه السلام (ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا) وهي حواء(وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ).

أي: وأوجد لخدمتكم من الإبل والبقر والغنم والمعز زوجين ذكر وأنثى وليتم بهما التناسل وبقاء النوع (يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ) أي: يخلقكم من نطفة إلى علقه إلى مضغة...إلخ (فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ).

هي ظلمات البطن وظلمات الغشاء الذي هي بداخل الأرحام. لابد من التكاثر والتباين في الرأي والمنزع والخلقة والسعادة والشقاء، فأوحى الله تعالى إلى أبي البشر أن يزوج كل فتى من فتييه بهذا أفضي آدم إلى أبنائه راجياً أن يكون قوله الفصل ولولا جموح النفس البشرية، وانسياقها إلى مهاوي البوار والخسران لكان للأب ما تمنى والغريزة الإنسانية قوامها الحرص والطمع فمن كبح جماح شهوته وكسر حدة سطوته. وجعل لعقله سلطاناً على هواه فأولئك هم الذين أكرمهم الله في الدنيا والآخرة لولا ما من ترحيض لشهوته.

---

[1] سورة الزمر – الآية ٦.

وانفلت من عقله زمام هواه فهو من الاخسرين (ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾)[1].

وقال تعالى:(وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾)[2]. ولنذكر هاهنا ملخص ما ذكره أئمة السلف في ذلك.

(فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ). سنورد الأحاديث بمشيئة الله تعالى التي ذكرت في هذه القصة في سورة المائدة من كتب المفسرين.

فذكر ابن كثير عن السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة، أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل وأخته أحسن، فأراد قابيل، أن يستأثر بها على أخيه.

---

[1] سورة الكهف – الآية ١٠٤

[2] سورة المائدة، الآيات ٢٧ – ٣٠

وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قرباناً، وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السموات على بيّنة فأبين، والأرض والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك، فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردئ زرعه. فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب قابيل وقال لأخيه: (لَأَقْتُلَنَّكَ) حتى لا تنكح أختي . فقال هابيل:(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ).

وفي كتاب القصص وفي التفسير وروي عن ابن عباس من وجوه آخر، وعن عبد الله ابن عمرو، وقال عبد الله ابن عمرو وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده ! وقال أبو جعفر الباقر: أن آدم كان مباشراً لتقريبهما القربان والتقبل من هابيل دون قابيل، فقال قابيل لآدم: انما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدعي لي، وتوعد أخاه فيما بينه وبينه. فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي. فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به فلما ذهب إذ هو به، فقال له: تقبل مني فقال إنما يتقبل الله من المتقين. وغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله. قال: قيل: بل خنقه خنقاً شديداً وعضه كما تفعل السباع فمات والله أعلم. وقوله لما توعده بالقتل: (لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾)[1].

---

[1] سورة المائدة – الآية ٢٨.

دلت على خلق حسن ، من هابيل ، وخوف من الله تعالى وخشية منه تورع بأن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله. قال ابن كثير فلما قتله ندم وحمل أخيه هابيل على ظهره ولم يزل قابيل كذلك حتى بعث الله غرابين قال : قال السدي بإسناده عن الصحابة أخوين فتقاتلا فقتل أحداهما الآخر فلما قتله (فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ)[1] ، فعمد الغراب إلى الأرض يحفر له فيها، وألقاه ودفنه وواراه فلما رأي قابيل ذلك (قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي) أي: قال يا هلاك ويا حسرتي (فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ). وذكر ابن كثير قال: قال: بن جرير عن ابن حميد وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنه هابيل حزناً شديداً وزمناً طويلاً وفي كون هذه التواريخ والسير كما سنذكره إن شاء الله تعالى. وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٨٩ عن بعضهم ان حواء ولدت لآدم أربعين ولداً و في البداية والنهاية لابن كثير. مائة وعشرين بطناً في كل بطن ذكروأنثى وقال ابن إسحاق وسماهم. وقيل في التفسير لابن كثير وفي البداية والنهاية. أولهم قابيل وأخته أقليما. واخرهم عبد المغيث وأخته أم الغيث ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا وامتدوا في الأرض ونموا كما قال تعالى:

[1] سورة المائدة – الآية ٣١

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾)[1].

الله تعالى انما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ثم قد كان آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام أتقى لله مما ذكر عنهم في هذا. فأن آدم أبو البشر خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شئ وأسكنه جنته.

وقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر قال قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرين الفاً. قلت يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير. قلت يا رسول الله: من كان أولهم؟ قال آدم. قلت يا رسول الله: نبيّ مرسلٌ؟ قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً.] قد كان آدم وحواء اتقى لله، وإنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر وقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾)[2].

---

[1] سورة النساء – الآية ١

[2] سورة الحجرات – الآية ١٣

ذكر في كتاب الأحاديث القدسية قال الشيخ جمال الدين القاسمي قال العلامة أبو المسعود.

عند تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)[1]. قال كما روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه لما خلق الله آدم – عليه السلام – مسح على ظهره .. ثم ذكر هذا الحديث عن الترمذي في جامعة باب سورة الأعراف جـ٢ ص ١٨. عن أبي هريرة – رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة ، هو خالقها إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وميصاً من نور ثم عرضهم على آدم ، فقال: أي رب من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وميص ما بين عينيه فقال: أي: رب ، من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له داود ، فقال: رب كم جعلت عمره ؟ قال: ستين سنة ، قال: أي رب ، زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال: فجحد آدم، فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، وخطئ آدم، فخطئت ذريته. قال أبو عيسى الترمذي حديث حسن صحيح. وفي رواية أخرى له: " ثم أكمل الله تعالى لآدم – ألف سنة ، وأكمل لداود مائة سنة. من الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية. لم يكن آدم مخلوق كبير السن ولا طفل صغير ولكن خلق شاباً قوياً وعاش مدة حياة آدم ألف سنة ، وفي شرح الحديث من كتاب الأستنذان –

---

[1] سورة الأعراف – الآية ١٧٢.

وقال القسطلاني رحمه الله – باب "بدء السلام" جـ٩ صفحة ١٣. " خلق الله آدم على صورته" أي: خلقه تاماً مستوياً ، لم يتغير عن حاله ، ولا كان من نطفة ، ثم علقة ثم من مضغة ، ثم جنيناً ، ثم طفلاً ، ثم رجلاً ، حتى تم . ولم ينتقل في هذه الأطوار كذريته" قال الإمام جمال الدين القاسمي في كتاب الأحاديث القدسية وفيه أبطال لقول الدهرية: أنه لم يكن قط إنسان إلا من نطفة ولا نطفة إلا من إنسان ذكر ذلك ابن بطال وذكر جمال الدين في كتابه قال التوريشتي قال. أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورة لم يشكلها شئ من الصور في الجمال والكمال وكثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة وقال جمال الدين القاسمي في كتابه قال الطيبي: التأويل في هذا، يجب المصير إليه ؛ لان قوله: " وطوله" بيان لقوله: "على صورته" كأنه قال: خلق آدم على ما عرف عليه، من صورته الحسنة ، وهيئته من الجمال والكمال وطول القامة وخص الطول منها ؛ لأنه لم يكن بين الناس القسطلاني أقول: ومهما يقوي هذا التأويل قوله تعالى ممتناً على الإنسان:

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾)[1]. والله أعلم وقال تعالى: (ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾)[2].

---

[1] سورة غافر – الآية ٦٤

[2] سورة المؤمنون – الآية ١٤

وقال ابن إياس الحنفي في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور ذكر الثعلبي في كتابه فقال لما علم آدم بقتل هابيل أقام سنة لا يضحك ولا يطأ حواء فأوحي الله تعالى إليه يا آدم إلى كم هذا البكاء والحزن إني معوضك عن هذا الولد بولد يكون صِدّيقا نبيا واجعل من نسله الانبياء إلى يوم القيامة وعلامته انه سيوضع وحده في بطن واحدة فإذا ولد فسمه شيثا ومعناه بالسريانية عبد الله فلما حملت به حواء لم تجد لحمله ثقلا وولدته من غير مشقه ولما ولدت حواء شيثا كان ما مضى من قتل قابيل مائة سنة وقال ابن اياس الحنفي في بدائع الزهور قال الثعلبي انه لما ولد شيث وكبر اعتزل آدم إلى عبادة ربه وقراءة الصحف وصار شيث يتولى أمر اخوته ويقضي بينهم بالحق فبينما آدم في مذيقات الموت الذي كتبه الله عليه وعلى اولاده إلى يوم القيامة ففزع آدم من هذا وقال يا رب ما هذا الموت الذي تتوعدني به ثم ان آدم أحضر شيثا ووصاه بشئ كثير حتى اعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم وعلمه أوقات العبادة من الليل والنهار واخرج له سمطاً من حرير أبيض كان فيه صور الأنبياء ومن يملك الدنيا الى يوم القيامة وكان هذا السمط أنزل على آدم من الجنة فعرضه على شيث وامره أن يطويه ويضعه في تابوت ويقفل عليه . ثم آدم عمد إلى شعيرات من لحيته و وضعهن في التابوت وقال: يا بني خذ هذه الشعيرات فاذا همك أمر فاحملها معك فانك تظفر باعدائك ما دامت هذه الشعيرات معك واذا رايتها قد ابيضت فاعلم بأن أجلك قد اقترب وتموت في تلك السنة، ثم ان ادم نزع خاتمه ودفعه إلى شيث وسلمه التابوت والصحف التي نزلت عليه وقال له: يا بني حارب اخاك قابيل فإن الله ينصرك عليه انتهى ذلك.

وقال ابن إياس الحنفي في بدائع الزهور: ويروى إن آدم عاش من العمر ألف سنة كما ذكرنا عن هذا من الأحاديث القدسية لجمال الدين القاسمى والقسطلاني ومن حديث الترمذي في جامعه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : (قال فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطيها ابنك داود؟ وفي رواية أخرى للترمذي " ثم أكمل الله تعالى لآدم ألف سنة وكمل لداود مائة سنة) وذكر في الإتحافات السنية، في الأحاديث القدسية وأخرجه الترمذي أيضاً، في الباب نفسه، ولفظه: عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وقال القسطلاني بهامش الكتاب: وكانت مدة حياة آدم ألف سنة.

وعن عطاء الخرساني مما رواه ابن جرير قال ابن كثير: ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عادات تلك الساعات ، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك قال ابن كثير: يقال أنساب بني آدم إلى اليوم كلها تنتهي إلى شيث – عليه السلام، وسائر أولاد آدم من غير شيث ومن غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم.

ولما حانت وفاة آدم – عليه السلام – واحتضر قال ابن كثير في البداية والنهاية روي عن أبي ابن كعب قال: " أن آدم – عليه السلام – لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوا له فلقيتهم الملائكة فقالوا: إلي أين تريدون يا بني آدم ؟ فقالوا: إن أبانا اشتهى قطفا من عنب الجنة

فقالوا لهم: " ارجعوا فقد كفيتموه " فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه وقالوا" هذه سنتكم في موتاكم ".

وفي كتاب الأحاديث القدسية قال: ذكِر عن جمال الدين القاسمي عن القسطلاني في كتاب الاستئذان في شرح الحديث عن الخرساني مما رواه ابن جرير انه لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبع أيام ا هـ من القسطلاني إلى جـ ٥ صفحة ٣٢.

قال ابن كثير في قصص الأنبياء ص ٥٣ ، قال الإمام أحمد ابن حنبل عن أنس بن مالك، قال النبي ﷺ : " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : لو كان لك ما على الأرض أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك ما هو أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي.) الحديث للبخاري ٦٠ /٣٣٣٤/١ فتح الباري. ورواه مسلم في صحيحه ٥٠/١٠/٥٢. وأخرجه من حديث شعبة به. ورواه الإمام أحمد في مسنده ١٢٧/٣ ، ١٢٩/حلبي. قال ابن كثير، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب في قوله تعالى:

(وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ)[1].

قال فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق، (وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ) ؟ (قَالُواْ بَلَىٰ)

[1] سورة الأعراف – الآية ١٧٢

قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم آباكم آدم ألا تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا، إعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً، وإنما سأرسل إليكم رسلاً ينظرونكم عهدي وميثاقي . وأنزل عليكم كتابي.

قالوا: نشهد، إنك ربنا وإلهنا. لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك. فأقروا يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسُن الصورة، ودون ذلك، فقال: يا رب، لِم سويت بين عبادك؟ فقال: إني أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السراج عليهم النور ، وخصّوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول الله تعالى:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾)[1]، وفي ذلك قال تعالى: (هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾)[2]، وفي ذلك قال تعالى: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ)[3]، ورواه الأئمة عبد الله ابن أحمد ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير، وابن مردوية في تفاسيرهم من طريق أبي جعفر ، وروى مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير ، والحسن البصري، وقتادة، وعلماء السلف بسياقات توافق هذا الحديث.

---

[1] سورة الأحزاب – الآية ٧

[2] سورة النجم – الآية ٥٦

[3] سورة الأعراف – الآية ١٠٢

الفصل الثامن عشر

قصة شيث عليه السلام

قال وهب بن منبه لما توفى آدم كان شيث ابن (آدم عمره) ابن أربعمائة سنة وكان قد أعطاه التابوت والسمط وسيفه وفرسه الميمون الذي نزل إليه من الجنة وكان إذ صهل أجابته دواب الأرض بالتسبيح واوصاه بالقتال مع أخيه قابيل فخرج شيث لقتال أخيه قابيل، فحاربه وهو أول حرب جرى في الأرض بين بني آدم فانتصر شيث وأسر قابيل فقال قابيل وهو أسير إحفظ يا شيث ما بيننا من الرحم فقال له لأى شئ لم تحفظه وقتلت أخاك هابيل ثم أخذه شيث وغل يده في عنقه وأوقفه في الحر حتى مات. وقد ذكر ابن كثير عن مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه فعلقت ساقه إلى فخذه وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت تنكيلاً به وتعجيلاً لذنبه وبغيه وحسده لأخيه لأبويه على حبه له وقد جاء في الحديث ذكره ابن كثير أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم) وقال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ٨٨ رواه بن داود عن الأعمش وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ (لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل دمهما، لأنه كان أول من سن القتل) والحديث رواه البخاري أيضاً ٦١/ ٢٢٥، ٩٢/ ٢٩ ورواه مسلم في صحيحه ٥٢/ ١ / ٢٢١٣.

قال ابن إياس في بدائع الزهور في وقائع الزهور قال وهب ابن منبه لما مات قابيل فأراد أولاده دفنه فجاء إبليس في صورة ملك من الملائكة وقال لأولاده لا تدفنوه في الأرض ثم أتاهم بحجرين من البلور وجوفهما وأمر أولاده بأن يدخلوا قابيل بين الحجرين من البلور ويلبسوه أفخر الثياب ويدهنوا جسمه بأدوية مفردة حتى لا يجف ثم أمر أولاده أن يقفوا في بيت وهو على كرسي من ذهب وأمر كل من يدخل عليه أن يسجد له ثلاث سجدات وأمرهم بأن يجعلوا له في كل سنة عيداً ويجتمعوا حوله، ثم إن إبليس وكَّل به شيطاناً فكان يكلمهم فأقام الناس يسجدون لقابيل مدة من الزمان ثم رجع شيث إلى الهند وصار يقضي بين الناس بالحق وقال ابن إياس قال وهب بن منبه أن حواء زوجة آدم توفيت في زمن ابنها شيث ولم تقم بعد آدم غير سنة وكان موتها يوم الجمعة في الساعة التي خلقت فيها، يقال أنها دفنت إلى جانب آدم عليهما السلام ثم نزّل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وهو أول من نطق بالحكمة وأول من خرج المعاملة بالذهب والفضة وأول من أظهر البيع والشراء وإتخذ الموازين والكيل وأول من استخرج المعادن من الأرض، ثم إن شيث ولد له ولداً ذكر أسماه أنوش وكان شيث في جبهته نور محمد ﷺ الذي نقل إليه من آدم فلما ولد أنوش إنتقل النور إلى جبهته فعلم شيث أن أجله قد قرب فنظر إلى الشعيرات فوجدها قد أبيضت فمات شيث في تلك السنة وكان له من تسعمائة سنة.

وقال ابن كثير عن بن عساكر قال فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام.

وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر أنه أنزل عليه خمسون صحيفة. فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده ثم بعده ولده قينن. ثم بعده إبنه مهلاييل وهو يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجر وبنى المدائن، والحصون الكبار وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس والأقصى، وأنه قهر إبليس وجنوده الشياطين وشردهم عن الأرض إلى أطراف شعاب الجبال وجزر البحار وأنه قتل خلقاً من مردة الجان والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة وولد له ولد سماه (يْرد) وانتقل النور إلى جبهة (يْرد) فلما كبر ولده إستخلفه وسلمه التابوت والصحف فلما مات قام بالأمر بعده ولده (يْرد) فلما ولد له ذكر سماه (خنوخ) وانتقل النور إلى ولده (خنوخ) وهو إدريس عليه السلام. ولما كبر إستلم التابوت والصحف من والده. فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده (خنوخ) وهو ابنه إدريس عليه السلام على المشهور.

الفصل التاسع عشر
قصة إدريس عليه السلام

قال وهب ابن منبه ما سمي إدريس إلا لكثرة دراسته قال تعالى:(وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾)[1]. وقد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية وهو (خنوخ) في عمود نسب رسول الله ﷺ كما ذكره المفسرون وذكره ابن كثير وغيره وهو إدريس النبي عليه السلام من (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ) [2]، عليهم الصلاة والسلام. قال ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور عن بن عباس رضي الله عنهما بعث الله إدريس إلى بني قابيل وكانوا يعبدون الأصنام وحادوا عن توحيد الله تعالى، واتخذوا لهم خمسة أصنام يعبدونها من دون الله وهي ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا، قال تعالى: (وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴿٢٣﴾) [3].

---

[1] سورة مريم – الآية ٥٦

[2] سورة مريم – الآية ٥٨.

[3] سورة نوح – الآية ٢٣

قال الإمام شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في المصحف الميسر لمعاني هذه الآيـة الكريمـة أي: وقـال الكفـار مـن القـوم إحـذروا تـرك عبـادة أصنامكم، وإحـذروا تـرك عبـادة الآلهـة ودا وسـواعا ويغـوث ويعـوق ونسـرا. وقـال ابن إياس الحنفي فلما تزايد في أمرهم بعث الله إليهم إدريس عليه السلام فكان يدعوهم في الجمعة ثلاثة أيام وكان إدريس عنده شدة بأس وصلابة في أمره ونهيه وذكر ابن كثير في البداية والنهاية وفي قصص الأنبياء وذكر ابن إياس كان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام وقالوا عن ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثماني سنين، وقد قال طائفة من الناس أنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك. وقال ابن إياس عن ابن عباس قال وهو أول من خط بالقلم وأول من لبس المخيط وكان إذا خاط يسبح الله عند كل غرزة من الإبرة فإذا غفل وخاط يفتق ما خاطه بغير تسبيح وكان لا يأكل ألا من كسب يده وكان يخيط للناس بالأجرة وهو أول من صنع المكيال، وقال قيل قبل زمن إدريس كانوا يلبسون الأردية بغير خياطة فلما صنع إدريس الخياطة وخاط إستحسن الناس ذلك ولبسوا المخيط ثم (أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة) رواه بن حبان عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ، وقال ابن إياس عن ابن عباس رضى الله عنهما. فكان لا يفتر عن قراءتها ليلاً ونهاراً. وكانت الملائكة تأتي لمصافحة إدريس وكان يرفع كل يوم لإدريس من العبادة بقدر ما يرفع لغيره من كل الناس حتى تعجبت الملائكة منه وحسده إبليس اللعين على ذلك ولم يرى له سبيلاً .

قال ابن كثير في البداية والنهاية وقال إبن إياس الحنفي في بدائع الزهور:
(يروى أن ملك الموت إستأذن ربه بأن يزور إدريس فأذن له فأتى في صورة رجل فقال له إدريس من أنت أيها الرجل؟ فقال له أنا ملك الموت استأذنت ربي في زيارتك فأذن لي في ذلك فقال له إدريس إن لي وإليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أن تقبض روحي في هذه الساعة. فقال له ملك الموت: إن ربي لم يأذن في ذلك فأوحى الله إلى ملك الموت أني علمت ما في نفس عبدي إدريس فاقبض روحه فقبضها في الحال ثم إن الله أحياه في الحال فقال: يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى. فقال: ما هي؟ قال إدريس: أن تمضي بي إلى جهنم لأنظر أهوالها فأذن الله له بذلك فحمله ملك الموت وأتى به إلى (مالك) خازن النار فأوحى الله إلى مالك خازن النار بأن أوقف عبدي إدريس على شفير جهنم لينظر ما فيها، فلما وقف إدريس ونظر غشى الله عليه من أهوالها فجاء إليه ملك الموت وإحتمله إلى مكانه الذي أخذه منه فصار إدريس من ذلك اليوم لا تكتحل عينه بمنام ولا يهيأ بطعام ولا يشرب ولا يقر له قرار من الهول الذي رآه في النار، ثم أن إدريس إنعكف على عبادة الله تعالى وتزوج بامرأة فحملت منه بولد ذكر فلما وضعت سماه (متوشخ) وإنتقل النور الذي كان في وجهه إدريس إلى إبنه (متوشخ) فلما كبر عهد إليه إدريس وسلمه الصحف والسمط والتابوت وأوصاه بقراءة الصحف ولزوم الصلاة وقال له: يا بني إني صاعد إلى السماء ولا أعلم هل أرجع أم لا فأقبل مني ما أوصيتك به، ثم إن إدريس دخل إلى محرابه وسأل الله أن يريه الجنة كما أراه النار فأوحى الله إلى (رضوان) خازن الجنة بأن يدلي إلى إدريس غصناً من أغصان الجنة فأدلى له رضوان غصناً من أغصان شجرة طوبى وصعد إدريس.

ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء وفي البداية والنهاية صعد على ظهر ملك من الملائكة إلى السماء وقال ابن إياس عن الجوزي أن إدريس وعيسى ابن مريم حيان في السماء الرابعة تارة يعبد الله في السماء وتارة يتنعم في الجنة، وقال ابن إياس عن وهب ابن منبه قال: رفع إدريس إلى السماء وهو بن ثلاثمائة وخمس وستين سنة. وقال تعالى: (وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾)[1] .

ولما طال إدريس الجلوس في الجنة قال له رضوان أخرج فقد نظرت الجنة وما فيها. فقال له إدريس: ما أنا بخارج منها وقد قال الله تعالى: (كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾)[2].

أما الموت فقد ذقته وقال تعالى: (وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا ﴿٧١﴾)[3]. وأما النار وقد وردتها وقال تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ)[4].

وقال تعالى إلى (رضوان) أن لعبدي إدريس لا يخرج من الجنة أبداً.

---

[1] سورة مريم – الآيات ٥٦، ٥٧

[2] سورة آل عمران – الآية ١٨٥

[3] سورة مريم – الآية ٧١

[4] سورة المائدة – الآية ٣٧.

الفصل العشرون
ذكر الملكين هاروت وماروت

قال ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور قال الكسائي لما رفع الله إدريس إلى السماء علمت الملائكة أنه لا يبرح منهما قالت الملائكة آلهنا وسيدنا ومولانا ما كان لهذا العبد الخاطئ أن يصير في مقام الملائكة المقربين فأوحى الله تعالى إليهم إنكم عيرتم بني آدم بفعلهم فلو ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ما قدرت عليهم من الخطايا لفعلتم أعظم من فعلهم فقالوا: سبحانك ربنا ما ينبغي لنا أن نعصيك فأوحى الله إليهم أن يختاروا منهم ملكين من خيارهم فيهبطا إلى الأرض ويركب فيها الشهوة مثل ما ركبها في بني آدم فإختارت الملائكة هاروت وماروت، فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير الحق وعن الزنا وعن شرب الخمر فجعلا يقضيان بين الناس بالحق بالنهار فإذا أمسيا ذكرا إسم الله الأعظم فيصعدان إلى السماء فاستمروا على ذلك شهراً واحداً فأتت إمرأة من أجمل النساء في الحسن والجمال لابسة أفخر الثياب وكان اسمها زهرة وكانت من أهل فارس وتحكم على عدة مدن فدخلت على هاروت وماروت وهى في زينتها وقد أسدلت شعرها من خلفها وأسفرت عن وجهها ثم شكت إلى ذيلك المكين من خصمها فلما رأها إفتتنا بحبها فلما انصرفت عادت إليهما في اليوم الثاني فصار كل واحد منهما يحدث صاحبه بما عنده من الشغف بها فلما تزايد الأمر راوداها عن نفسها فأبت وانصرفت.

ثم عادت إليهما في اليوم الثالث فراوداها عن نفسها فأبت وقالت لهما لا أمكنكما مما أردتما حتى تفعلا ما أريد أن تسجدوا للصنم وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذا فإن الله تعالى نهانا عنه فأبيا عن إرادتها وأبت عن إرادتهما وإنصرفت عنهما فزاد بهما الوجد فتوجها إلى بيتها وطرقا عليها الباب فرحبت بهما فدخلا عليها فأحضرت لهما طعاماً فأكلا منه ثم راوداها عن نفسها. فقالت أنكما تعلمان ما أردت منكما فقالا إن الشرك عظيم والقتل عظيم أما شرب الخمر فإنه أهون هذه الأشياء ثم نستغفر الله ولم يعلما أن الخمر أم المعاصي فتقدما وشربا الخمر فلما إنتشيا وقعاً على المرأة مزينا بها فرآهما إنسان فقتلاه خوفاً من أن ينم عليهما. شراب يضل سبيل الهدى، ويفتح للشر أبوابه. قال فلما فعل هاروت وماروت هذه الأفعال ووقعا في الذنوب أرادا أن يصعدا إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا نبي الله إدريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما عند الله تعالى وقالا له إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى. قال: ففعل إدريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فهما يعذبان ببابل في جب معلقين بشعورهما منكسن على روسهما في سلاسل من حديد يعذبان بالعطش وبين لسانهما وبين الماء مقدار يسير كعرض الأصبع وجميع دخان الدنيا داخل في أنفهما زيادة في عذابهما ساخصة مزرقة ووجوههما مسودة وهما في هذه الحال إلى يوم القيامة.

ولما رفع إدريس إلى السماء تولى بعده ابنه متوشلخ فحكم بين الناس بالحق، فلما ولد له ولد ذكر انتقل النور إليه إلى (لأمك) ، ولما توفى متوشلخ سلم التابوت والصحف إلى ابنه (لأمك).

قال الكسائي: كان لامك شديد البأس وكان عنده صلابة وقوة فكان يقلب الصخرة العظيمة ويقلعها من الجبل قال: (ومما وقع له) أنه خرج ذات يوم إلى الفضاء فرأى إمرأة حسناء وبين يديها غنم ترعاها فأعجبته، فتقدم وسألها عن اسمها فقالت أنا (فينوسة) بنت أكليل من أولاد قابيل ابن آدم فقال لها ألكي بعل؟ قالت: لا. فقال لها أنت صغيرة ولو كنت بالغة تزوجت بك وكان البلوغ يومئذ مائتي سنة. فقالت الصحيح أنا بنت مائتين وعشرين سنة فانطلق وأخطبني من أبي فلما سمع (لأمك) بذلك الكلام أمضى إلى أبيها وخطبها منه فزوجها له فلما دخل عليها حملت منه ووضعت له ولداً ذكراً فسمته (يشكر) وقيل عبد الغفار وهو نوح وينتقل النور إليه. قال وهب ابن منبه فلما وضعته في مغارة وأرادت الانصارف عنه خوفاً من ملك ذلك الزمان فإنه يحجر على النساء ويقتل الأطفال عمداً فلما وضعته ذهبت عنه وهي تنوح عليه فناداها يا أماه لا تخافي علي فإن الذي خلقني يحفظني فعند ذلك انصرفت مطمئنة فأقام في تلك المغارة أربعين يوماً ففي هذه الأربعين يوماً مات الذي كان يقتل الأطفال فحملته بعض الملائكة ووضعته في حجر أمه فإذا بالنور الذي كان في جبهة أبيه (لأمك) إنتقل إلى جبهة ابنه عبد الغفار وهو نوح عليه السلام فأخذت أمه في تربيته حتى كبر وانتشى فتعلم صنعة النجارة وأتقنها وكان يرعى الغنم لقومه بالأجرة فأقام على ذلك مدة طويلة حتى توفى أبوه (لأمك) فاستخلفه من بعده وسلم إليه الصحف والتابوت والسمط.

الفصل الحادي والعشرون

أمـا الأهـــــــرام

قال ابن وصيف شاه لم يكن في ملوك مصر أغنى من سوريد ومما وقع له أنه رأى في منامه قبل وقوع الطوفان بثلاثمائة سنة، كانت السماء انقلبت على الأرض حتى صارت كالجوبة، وكانت الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد قرّبا من العالم، ورأى طيور بيضاء تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين وكانت الدنيا سوداء مظلمة وكل الناس قد اجتمعوا عليه من صعيد واحد وهم يستجيرون به، فلما رأى ذلك استيقظ من منامه وهو مرعوب خائف، فلما أصبح استدعى الكهنة وهم مائة رجل وكانوا من العلماء بالنجوم والطوالع، فاختلى بهم وقصَّ عليهم الرؤيا فقالوا إن رؤياك سماوية، يهلك بها كل العالم، ويجمع مَن على الأرض. فقال لهم الملك: خذوا الارتفاع من الكواكب. فلما نظروا في ذلك. قالوا: وجدنا القمر في برج السرطان، وهو مقارب لسماك فيكون الهلاك في أمر من الطوفان وأن هذه الآفة مائية سماوية، فقال لهم: انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا، فقالوا له: نعم. تأتي إلينا وتقيم البلاد خراباً مدة طويلة. فقال لهم الملك: انظروا هل تعود بلادنا عامرة أحسن مما كانت عليه؟ قالوا: نعم، تعود أحسن مما كانت عليه، فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الأهرام. وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الأرض.

وقال هذه نواريس لنا، وقبور للأجساد، ثم نقل إليها أشياء كثيرة من الأموال والجواهر والمؤن والسلاح والتماثيل العجيبة والأواني الغريبة التي هي من سائر المعادن، وكتب عليها الأسحار والعلوم الفلكية التي تخبر بما سيحدث من الأمور إلى آخر الزمان. ومَن يملك البلاد من الملوك المسلمين والكافرين وأخبرت الكهنة أن الطوفان لا يقوم كثيراً على وجه الأرض بل نحو أربعين سنة، فبنى الأهرام وحبس فيها الهواء بتقدير وتدبير الحكم. وادخر ما ذكرناه من الأموال وغير ذلك، وقال: إن كنا ننجو من هذا الطوفان نعود إلى مُلكنا، فنجد أموالنا كما هي باقية، وإن متنا فتكون هذه الأهرام قبوراً لأجسادنا وهي تصونها من البلي، فصنع كل واحد من وزارئه وحكمائه وأرباب دولته هرماً لتكون حصناً للاجساد من الطوفان.

وقال الشيخ محمد ابن أحمد ابن إياس الحنفي في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، قال المسعودي في مروج الذهب: أن في كل هرم منها سبع بيوت على عدد الكواكب السيارة، وفي تلك البيوت عدة أصنام من الذهب مرصعة بالجواهر الفاخرة ، وفي آذانهم درر قدر بيضة الدجاج، وفي كل هرم ناووس من الرخام الأخضر، وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ، ومعه صحيفة فيها اسمه وترجمته ومدة ملكه، وذكروا أن لهذه الأهرام مكاناً ينفذ إلى صحراء الفيوم، وهي على مسيرة يومين من الأهرام. وقال الشيخ محمد ابن أحمد ابن إياس الحنفي: أما ما نقله الحسن المسعودي في مروج الذهب، حيث قال: أن سوريد لما فرغ من بناء هذه الأهرام كساها بالديباج الملون من أعلاها إلى أسفلها وعمل لها عيد يحضر أرباب دولته مدينته وكتب على جوانبها (هذا بناء سورين ابن شهلوق قد بناها في ستين سنة ، فمن يدَّع قوة في ملكه يهدمها في ستمائة سنة ، وأن الهدم أيسر من البناء).

فهذا الصحيح، وقال ابن إياس الحنفي عن الحسن المسعودي في كتابه مروج الذهب: وإن الخليفة المأمون لما فتح الباب الذي في الهرم الكبير وجد فيه قطعة وقيل من المرجان، وهي كاللوح ، وفيها مكتوب (هذا بناء سوريد... إلى آخر كتابته بالقلم القديم)، ولما دخل الأستاذ أبو الطيب مصر ورأى الأهرام فانشد يقول: (أين الذي الهرمان من بنيانه. ما قومه ما يومه ما المصرع تختلف الآثار عن أصحابها. حينا ويدركها الفناء فتصدع)

وأما ما قالت الشعراء في وصف الأهرام فمن ذلك قول القائل:

وانظر إلى سير الليالي فيها   نظرا بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبّرانا بالذي   فعل الزمان بأول وبآخر
(آخر) لله أي غريبة وعجيبة   في صنعة الأهرام للألباب
أجفت عن الاسماع قصة أهلها   كشفت عن الابداع كل نقاب
فكأنما هي كالخيام مقامة   من غير أعمدة ولا أطناب
مثل العرائس جردوا أثوابها   عنها ولم تنطق عن الأعجاب
(آخر) تحقق أن صدر الأرض مصر   ونهداها من الهرمين شاهد
فواعجباً فكم أفنت قروناً   على هرم وذاك الثدي ناهد.

(انتهى).

الفصل الثاني والعشرون

قصة نوح عليه السلام

قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)[1] هو نوح بن لامك ابن متوشلخ ابن خنوخ، وهو إدريس ابن يرد بن مهلاييل بن قنين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام، قال ابن كثير في البداية ولنهاية (كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره بن جرير وغيره). وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام. فإن كان بالمراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس، فبينهما ألف سنة لا محالة لكن لا ينبغي أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام إذ قد يكون بينهما قرون أخرى متأخرة لم يكونوا على الاسلام لكن حديث أبي أمامة من صحيح ابن حبان يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الإسلام. وهذين الحديثين يردوا قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم الذين قالوا أن قابيل وبنيه عبدوا النار، والله أعلم. قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن أبا سلام سمعت أبا إمامة أن رجلاً قال يارسول الله أنبي كان آدم قال نعم مكلم . قال فكم بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون).

---

[1] سورة العنكبوت – الآية ١٤

قال تعالى: (إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى
دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ
ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا
﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾
مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟
كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا
وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ
يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا
﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا
خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا
تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا
فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ
بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا
﴿٢٨﴾)[1]. وقال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾)[2]
وقال تعالى: (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾)[3]

---

[1] سورة نوح

[2] سورة غافر – الآية ٥

[3] سورة الذاريات – الآية ٤٦

وقال ابن جرير في تفسيره عن محمد بن قيس (قال كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورنا كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصورهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم ابليس أثر ذكرهم إياه حتى إتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فلما تطاولت العهود والأزمان جعلوا تلك الصور تماثيل مجسدة ليكون أثبت لهم ثم عبدت بعد ذلك من دون الله عز وجل ولهم في عبادتها مسالك كثيرة جداً. قد ذكرها ابن كثير في تفسيره والمفسرون ولله الحمد والمنة، ورحمة الله على الصالحين أجمعين. وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكرت عنده أم سلمة وأم حبيبة تلك الكنيسة التي رأيناها بأراضي الحبشة يقال لها مارية فذكرنا من حسنها وتصاوير فيها قال ﷺ (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل).

والمقصود أن الفساد لما انتشر في الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض والذين كانوا قبله أنبياء الله، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة قال: (فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبد شكورا ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا تشفع لنا إلى ربك عز وجل فيقول ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي) وذكر تمام الحديث بطوله كما أورده البخاري في قصة نوح.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره، ذكروا عند أبي جعفر هو الباقر وهو قائم يصلي يزيد ابن المهلب قال فلما انفتل (أي: إنصرف) من صلاته قال ذكرتم يزيد ابن المهلب أما أنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله. قال ذكر وداً رجلاً صالحاً وكان محبباً في قومه فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه قالوا نعم فصور لهم مثله.

قال: ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالاً مثله ليكون له في بيته فتذكرونه، قالوا نعم قال فمثل لكل أهل بيت تمثالاً مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس: (أي: الممحى) أثر ذكرهم إياه حتى إتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد غير الله وداً الصنم الذي سموه وداً. وظل قوم نوح يعبدون الأصنام دهراً طويلاً، وإتخذوها آلهة يرجون منها الخير، ويستدفعون بها الشر، ويردون كل شئ في الحياة إليها.

ويدعوها لمختلف الأسماء، تارة قال تعالى (وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾)[١]. أي: أسماء أصنام قد انتقلت عن قوم نوح إلى العرب بعدهم فهذه الأسماء على حسب ما يملي على قوم نوح الجهل، ويزين لهم الهوى، فأرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام.

---

[١] سورة نوح – الآية ٢٣

قال الشيخ محمد جاد المولى رحمه الله تعالى في كتابه قصص القرآن الكريم فأرسل الله إليهم نوحا. وكان رجلاً فتيق (أي: فصيح اللسان) واضح البيان، رزين الحصاة (أي: العقل والرأى) بعيد الأناة (أي الحلم) رزقه الله صبراً على الجدل، وقدرة على تصريف الحجج، وبصيراً بمسالك الإقناع، دعاهم إلى الله فأعرضوا، فأنذرهم العقاب فعموا وصموا، ورغبهم في الثواب فوضعوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا .. ولكنه ناضلهم وجادلهم، ثم صابرهم وطاولهم، فدلهم حبل أناته، وأفرغ عليهم معسول كلماته، ولم يضعف في إيمانهم رجاوه، ولم يدع اليأس يسلك سبيلاً على قلبه، بل أخذ يفتن في الدعوة، ويجاهد في إبلاغ الرسالة فدعاهم ليلاً نهاراً، وسراً وإعلانا، ووجه نظرهم إلى سر الوجود، وإبداع الكائنات: ليلٌ داج، وسماء ذات أبراج، وقمر يسبح، وشمس تسطع، وأرض فجر خلالها الأنهار وأنبت فيها الزروع والثمار، كل هذا يتحدث بلسان فصيح، وينطق ببرهان صحيح، عن إله واحد، وقدرة فذة عجيبة. قال تعالى:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾)[1]. قال تعالى:(قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾)[2].

---

[1] سورة الأعراف – الآية ٥٩

[2] سورة هود ، الآيات ٣٢ – ٣٤

وهكذا ظل يناضل ويساجل، ويقيم الحجج، ويبسط البراهين، حتى آمنت به شرذمة (أي: الجماعة) قليلون، استجابوا لدعوته، وصدقوا برسالته. أما الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا، وسبقت لهم الشقاوة فلم يهتدوا، وكانوا من عرانين (أي: أى جمع السيد الشريف) القوم وذوى الشرف الصاعد فيهم، فقد تمالئوا عليه وتظاهروا على الاستهزاء به وتسفيه رأيه.

قالوا: ما أنت إلا بشر مثلنا، وواحد منا ، ولوأراد الله أن يبعث رسولاً لبعثه ملكاً، ولكنا أصغنا لقوله، وأجبنا لدعوته. ثم ما هؤلاء الأراذل من ضعاف (أي: أوغاد الناس) وحثالتهم، وأهل الصناعات الخسيسة والحرف الدينئة أن يمحصوا آراءهم، أو ينضجوا أفكارهم ! لو كان خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء، ولو كان حقاً ما تقول، لكنا ونحن أولو الفطنة والذكانة، وأصحاب الأذهان الصافية، والأحلام الراجحة، أسبق إلى الإيمان بك والاقتداء بهداك، ثم لجوا في الجدل، وأمعنوا في المراوغة، قالوا: وما نرى لك يا نوح ولصحبك علينا من فضل لا في العقل والحجة، ولا في بعد النظر، ولا في رعاية المصالح، ولا معرفة المعاد وخاتمة المطاف، بل نظنكم كاذبين! فأجابهم نوح ، وسفاهة قولهم. لم تصدع صفاة حلمه أي: لم تخرجه عن حلمه. وأصل الصفاة: الصخرة الملساء.

ولم تؤثر (أي: لم تغير مألوف رأيه وعقله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾﴾[1].

أرأيتم لو أنني كنت على بينة من ربي، وحجة شاهدة بصدق دعواى آتاني رحمة منه وفضلاً، فعمى عليكم القصد، وأشلبه الأمر، وحاولتم ستر الشمس بأكفكم، أو طمس النجوم بأيديكم، فهل أستطيع لكم إلزاماً، أو أملك لحمالكم على الإيمان سلطاناً! قالوا: يا نوح، إن أردت لنا هداية وتوفيقاً، وأردت منا نصراً وإعزازاً، فأعمد إلى هؤلاء الاوزاع: أي الأخلاط من الناس. الذين آمنوا بك، فأقصهم عن حظيرتك، وأنبذهم عن حماك، فإننا لا نستطيع أن نجري في عنانهم، أو نسير على أسلوبهم أو نقرن في الاعتقاد بهم. وكيف نستجيب لدين يستوي فيه الشريف والمشروف، والملك والسوقة! قال لهم: إنها دعوة عامة شاملة لكم جميعاً، يستوي فيها نبيكم وخادمكم. وخاملكم، ومشهوركم ومغموركم ، الأغنياء منكم والفقراء، والمرؤوسون والرؤساء. وهبوني أجبتكم إلى مطلوبكم وحققت بطردهم مرغوبكم فمن الذي إعتمد عليه في نشر الدعوة وتأييد الرسالة؟ وكيف أطرد قوماً نصروني وقد لقيت منكم الخذلان، ووصلت كلماتي إلى قرارة نفوسهم، وما صادفت منكم إلا الحجود والنكران! وهم ما برحوا قواماً على الدين داعين إلى الله، ثم كيف حالي معهم بين يدي الله إذا خاصموني وحاجوني، وشكوا إلى الله أني قابلت خيرهم بالكنود. (أي: كفران النعمة)

---

[1] سورة هود – الآية ٦٣

قال تعالى:(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾)[1] وقال تعالى:(وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾)[2]

ولما اشتد بينهم وبينه الجدل، وانفرجت مسافة الخلف، سأموا منه وضاقت صدورهم به،(قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾)[3]. فهزئ بهم نوح، وقال: إنكم تسرفون في الجهل، وتمعنون في الحمق، ومن أنا حتى آتيكم بالعذاب، أو أصده عنكم! وهل أنا إلا بشر مثلكم يوحى الي إنما إلهكم إله واحد.

---

[1] سورة الشعراء ، الآيات من ١٠٥ – ١١٥

[2] سورة هود – الآيتان ٢٩، ٣٠

[3] سورة هود – الآية ٣٢

وكـان نـوح يـدعوهم إلـى التوحيـد لكلمـة لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه وكـل الأنبيـاء مـن أول آدم إلـى محمـد رسـول الله دعـوتهم واحـدة علـى كلمـة واحـدة ألا وهـى لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه فكـان مـن الواجـب علـيهم الاستجابة والإيمان بلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن نـوح رسـول الله كمـا قالت الأمة المحمدية لا إله إلا الله محمد رسول الله. فـأبلغهم نـوح بمـا أمـر بـه وأبشرهم بالثواب مرة، وأنذرهم بالعذاب أخرى! ألا إن مرد كل شـئ إلـى الله، إن شاء هداكم، وإن شاء استعجل فآذاكم، وإن شاء أملى ليزيد في عقابكم، ويمعن في النكاية بكم. قـال تعـالى: (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾)[1]. فالأنبيـاء، لكـى يـؤدوا رسـالتهم علـى وجههـا الكامـل، رزقهـم الله صـبراً علـى الإيـذاء، وجلـداً علـى الخصـام، كمـا وسـع فـي رقعـة أحلامهم وماد (أي: مد) لهم في حبال رجـائهم. (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) سورة النسـاء ـ الآيـة ١٦٥. وقد ثبت فـي الصـحيحين للبخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (وأني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) قطعة من حديث بلفظ البخاري. وقـال ﷺ (من يـرد الله بـه خيـراً يفقهه في الدين) عن معاوية أخرجه البخاري ورواه البخاري ومسلم.

---

[1] سورة هود – الآيات ٣٣- ٣٥

وقال تعالى:(وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيَ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾). أي: من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته. ومن يريد به خيراً يفقهه في دين الله وليهمه رشده. قال تعالى:(وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾)[1]. وقضت حكمة الله البالغة والحجة الدامغة ونوح كان من أولي العزم من الرسل. وقال تعالى:(فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)[2].

ومد في حبال رجانهم لكيلا يكون لهم على الله حجة بعد الرسالة ولا لمن كفر منهم له عذر بعد ذلك النبي الذي أطال الله في عمرة ألف سنة إلا خسمين عاماً يدعوهم إلى التوحيد والإيمان بالله وحده. صابراً على أذاهم، صامداً لاستهزانهم، يرصد فيهم برق الأمل، ويشيم منهم بارق الإيمان. (أي: سحاب ذو برق) ولكنهم ما ازدادوا على الأيام إلا عتواً، وما بلغت دعوته منهم إلا نفوراً، فعاد حبل الرجاء بالياً، ووجه الأمل أسود حالكاً، ففزع إلى الله تعالى شاكياً ملتجئاً، مستعيناً مستهدياً، في هؤلاء الذين عجزت حيلته فيهم، ويكاد الأمل ينقطع في إيمانهم.

---

[1] سورة هود – الآية ٣٦

[2] سورة العنكبوت – الآية ١٤

فأوحى الله إليه: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾)[1] قال ابن كثير في البداية والنهاية صفحة ١,٢ وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم أحد بعد (إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ) أي: لا يسوأنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب وقال الشيخ محمد جاد المولى رحمه الله تعالى في كتاب قصص القرآن الكريم: ولما رأى نوح أن الله قد حقت كلمته، وقضى وحيه أنه لن يؤمن أحد بعد، وأنه قد طبع على قلوبهم، ووضعت عليها الأقفال، فلم يعودوا يخضعون لبرهان أو يذعنون إلى إيمان، نفد صبره،:(وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾)[2]. أي لما يئس نوح من قومه (قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾)[3]. فأجمع الله عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم.

---

[1] سورة هود – الآية ٣٦.

[2] سورة نوح – الآيتان ٢٦، ٢٧.

[3] سورة المؤمنون – الآية ٢٦

فاستجاب الله دعاءه وأوحى إليه (فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾)[1]. فأمره الله تعالى يصنع السفينة إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه فيرجو الله ويخاطبه في المغرقين الظالمين عند معاينة العذاب النازل بهم فأنه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال:(وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾).

وأخذ يعمل، ولكنه لم ينج من سخرية القوم واستهزائهم. قال تعالى: (وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ)[2].

أي: وأخذ يصنع الفلك وهم يستهزئون به إستعاداً لوقوع ما توعدهم به قال: (قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾)[3].

أي: فقالوا المؤمنون نحن الذين نسخر منكم ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)[4].

---

[1] سورة المؤمنون – الآية ٢٧.

[2] سورة هود – الآية ٣٨.

[3] سورة هود – الآية ٣٨.

[4] سورة هود – الآية ٣٩.

أي: وسوف ترون ما توعدون به من العذاب الذي ينتظركم. قال ابن كثير (وقد كانت سجاياهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون) (أي: أنكر) أيضاً أن يكون جاءهم رسول كما قال البخاري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (يجئ نوح عليه السلام وأمته فيقول الله عز وجل هل بلّغت؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا، ما جاءنا من نبي فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهد أنه قد بلّغ) رواه البخاري.

وهو قوله (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ)[1]. والوسط العدل، فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحاً بالحق وأزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه. وهكذا شأن جميع الرسل حتى أنه حذر قومه المسيح الدجال وأن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم كما قال البخاري عن ابن عمر قال:(قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله).

ثم ذكر الدجال فقال: (إني لأنذركم وما من نبي إلا وقد أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور) وهذا الحديث في الصحيحين أيضاً.

---

[1] سورة البقرة – الآية ١٤٣

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:(ألا أحدثكم عن الدجال حديثاً ما حدث به نبي قومه إنه أعور وإنه يجئ معه بمثال الجنة والنار والتي يقول عليها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) لفظ البخاري. وقال ابن كثير في البداية والنهاية وقد قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له أمره أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجّره في مائة أخرى وقال ابن كثير وقيل في أربعين سنة. فالله أعلم. وقال ابن كثير في البداية والنهاية عن محمد ابن إسحاق قال عن الثوري وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وأن يطلي ظاهرها وبطانها بالقاروان يجعل لها جؤجؤاً أزور: (أي: الصدر المرتفع إلى المنكبين). وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها. وأخذ يعمل ولكن لم ينجو من السخرية وقال بعضهم إنك يا نوح أنت تزعم قبل اليوم أنك نبي ورسول فكيف أصبحت اليوم نجاراً، أزهدت في النبوة، أم رغبت في النجارة.(قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾)[١].

وقال غيرهم: ما بال سفينتك تصنعها بعيدة عن البحار والأنهار أأعددت الثيران لجرها، أم كلفت الهواء حملها!

ولكنه أعرض عن استهزائهم ومر كريماً على لغوهم، (قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾)[١].

---

[١] المؤمنون – الآية ٢٦.

(قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا)[2].

أي: وأخذ يعد لصنع السفينة بأمر الله أي: بأمرنا لك لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك لنرشدك إلي الصواب في صنعها. فاتخذ مكانا قاصياً عن المدينة وأعد الالواح والمسامير، وحين اخذ يعمل وانصرف إلي السفينة يقيم ألواحها ويصل آجزاءها حتى استوت سفينة مكينة ذات الواح ودسر أي: مسامير قال ابن كثير عن قتادة قال: كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين زراعاً وقال ابن كثير قال الحسن البصري ستمائة في عرض ثلاثمائة ذراع وقال ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عباس قال ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع وقال ابن كثير كلهم قالوا وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً وكانت ثلاث طبقات وكل واحدة عشرة أذرع. فالسفلي للدواب والوحوش والوسطي للناس والعلياء للطيور. وقال تعالي (فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾)[3]

---

[1] سورة هود، الآيتان ٣٨، ٣٩

[2] سورة المؤمنون، الآيتان ٢٦، ٢٧

[3] سورة المؤمنون — الآية ٢٧.

قال ابن كثير في البداية والنهاية. فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه اذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح ومن مأكولات وغيرها لبقاء نسلها وأن يحمل معه أهله أي أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم أي الا من كان كافراً فأنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد وأمره أنه لا يراجعه فيهم إذا حل ما يعاينه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعَّال لما يريد كما قدمنا بيانه قبل والمراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض أي نبعت الأرض من سائر أرجائها حتي نبعت التنانير التي هي مجال النار وقال ابن كثير عن ابن عباس التنور عين في الهند وقال عن الشعبي بالكوفة وقال عن قتادة بالجزيرة وقال عن علي ابن أبي طالب المراد بالتنور فلق الصبح وتنوير الفجر أي: إشراقه وضياؤه أي عند ذلك قلنا أحمل فيها

من كل زوجين اثنين وقال تعالي (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا)[1] هذا أمر عند حلول النقمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وقال ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنه أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار. ودخل إبليس متعلقاً بذنيل الحمار. قال ابن كثير عن ابن أبي حاتم قال عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطمئن أو كيف تطمئن المواشي ومعنا الأسد (قال) فسلط الله عليه الحمي فكانت أول حمي نزلت الأرض.

ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحي الله إلي الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفارة.

---

[1] سورة هود – الآية ٤٠

وقال تعالي (وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾)[1]. وكان معه من المؤمنين ثمانين رجل وأزواجهم ، وهذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ودعواهم إلي التوحيد والأيمان بالله والتهديد والوعيد تارة والترغيب والوعد أخري وعلى هذا الحال ليلاً ونهاراً عاش فيهم ألف سنة إلا خمسين. وأخذ من أمن بالله وحده من قومه وأهله، حمل معه من كل زوجين اثنين واختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة وقال ابن كثير عن ابن عباس قال: كانوا ثمانين نفساً معهم نسائهم. وقال(وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[2]. ودعا نوح ربه لينجيه هو ومن معه في السفينة. وقال ابن كثير وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم حام وسام ويافث ويام ؛ أي يسمى كنعان أو كعنان وهو الذي غرق ، وعابر وزوجته أم كنعان، وقد ماتت قبل الطوفان وقيل إنها غرقت مع من غرق. وقال ابن كثير فمن سبق عليه القول لكفرها وحمل معه في السفينة كل ما أمر به حتي يبلغ أمر الله. وتفتحت أبواب السماء بالماء، وتفجرت عيون الأرض، وبلغ السيل الزبي وهي الرابية لا يعلوها الماء ثم جاوز القيعان والربا، فهرع نوح إلي السفينة، وحمل ما أمر الله بحمله من الإنسان والحيوان والنبات، وسارت باسم الله مجراها ومرساها.

قال تعالي (فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾)[1].

---

[1] سورة هود – الآية ٤٠

[2] سورة الشعراء – الآية ١١٨

أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه وأقر عينه فمن خالفه وكذبه كان من المغرقين ومن آمن ركب معه كان من الناجين وحمد نوح ربه ، كما قال تعالي (وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾)[2].

وهكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون علي الخير والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾)[3].

وقد امتثل نوح عليه السلام لأمر الله وهذه الوصية (وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾)[4]

أي: وسمَ باسم الله في ابتداء سيرها وانتهاؤه (إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾)

---

[1] سورة المؤمنون – الآية ٢٨.

[2] سورة الزخرف ، الآيات ١٢ – ١٤.

[3] سورة الإسراء – الآية ٨٠

[4] سورة هود – الآية ٤١

أي: إنه لغفور رحيم وذو عقاب أليم مع كونه غفوراً رحيماً ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره.

قال تعالي: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾)[1]. مرة هي في ريح رخاء، وآونه في زعزع نكباء، والامواج تفتح بين طيانها للكافرين قبوراً، والزبد يخيط لهم أكفانا، يغالبون الموت والموت يغلبهم، ويصارعون الموج ولكن الموج يصرعهم، حتى طوتهم الأمواج طي السر في الفؤاد. وأشرف نوح فوق ظهر السفينة، فرأي ابنه كنعان- وكانت شقوة الله قد غلبت عليه فاعتزل أباه، ورغب عن دينه- يخوض اللجج، ويدافع الموج، ويحاول أن يعتصم بجبل ينجيه، أو ربوة تنقذه، ولكن الحمام كان منه يدنو، والغرق يقترب، فرقت له كبده، ولانت أعطاف رحمته، وهاج موضع الإشفاق والحب فيه فناداه، لعل نداءه يصل إلي مكان الإيمان من قلبه فيؤمن، أو يلمس ناحية الشعور فيه فيذعن: إلي أين يابني؟

إنك تفر من قضاء الله وقدره إلي قضاء الله وقدره، هلم إلي السفينة مؤمناً، فيلتم شملك بأهلك، وتنجو ببدنك (يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾).

---

[1] سورة هود – الآية ٤٢

ولكن هذه الكلمات لم تصل إلى قرارة وجدانه، ولم تجاوز شغاف قلبه وحسب أنه قادر على أن يحذر المكروه، ويفلت من يد القدر، فقال: إليك عني، فإني صاعد إلى أعلى الجبال (سَئَاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ).

قال نوح وقد أشجاه الهم، وغلبه الوجد أي: الحزن: يا بني أنه (لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ) أي: لا منجًى في ذلك اليوم إلا الله الرحيم ، إذا رَحِم. ثم فصل بينهما الموج، وحجز السيل، ولم يعد الملهوف وغوث وقال(رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾) – ودعا ربه نوح ، أي: قلت لي أنك تنجيني ومن آمن من أهلي، وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ)

فأوحي الله إليه: يا نوح إنه ليس من أهلك: ولا من خاصة عشيرتك، فقد سبقت له الشقاوة، وحقت عليه كلمة الكفر، فلا يعد من أهلك إلا من آمن بك، وصدق برسالتك، واستجاب لدعوتك، هذا الذي تعده حقاً من أهلك وهو الذي وعدتك بنجاته، وإنقاذ حياته ونصره ؛ لأنه مؤمن ناصر للمؤمنين حقاً، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾)[1]

وأما من جحد برسالتك، وكذب بكلمات ربك، فإنه خارج عن أهلك، منبوذ من شفاعتك، وإن كان بينك وبينه رحم ماسة، أو نسب جامع، وهو لابد وارد حوض المنية. مشرفاً على الغاية المحتومة، وإن اعتصم بحبل أو أوى إلى ركن: قومه وعدده ومادته. شديد. فإياك بعدها أن تسألني عن شئ لا تعلمه،

---

[1] سورة الروم – الآيه ٤٧

أو تجادلني في أمر لا تدركه (إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾)[1].
وحينئذ أدرك نوح أن العطف أذهله عن الحق، والاشفاق ستر عنه الصواب، وكان أولى به أن يبسط كفيه شكراً لله على ما خصه وقومه المؤمنين من النجاة وعلى ما أوقعه على الكافرين من الغرق والهلاك فألتجأ إلي الله مستغفراً من ذنبه مستعيذاً من سخطه واستغفر ربه وطلب منه أن يغفر له ويرحمه وإلا كان من الخاسرين ، وقال (قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾)[2]. وحال الموج بينه وبين ابنه فكان من المغرقين.(إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾)[3]

وقال ابن كثير وجماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعاً. وقال ابن كثير وقيل ثمانين ذراعاً وعم جميع الأرض طولها وعرضها، سهلها وجبالها وقفارها ورمالها. ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف. ولا صغير ولا كبير.

---

[1] سورة هود – الآية ٤٦

[2] سورة هود – الآية ٤٧.

[3] سورة الحاقة – الآيتان ١١، ١٢

قال الأمام مالك عن زيد ابن أسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم: لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز رواهما ابن أبي حاتم.

قال تعالى: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾)[1].

ثم ذكر الله تعالي مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه علي وجه الاستعلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلي معي وهو منهم وقد غرق فأجيب بأنه ليس من أهلك أي الذين وعدت بنجاتهم أي ما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا فمن سبق عليه القول منهم بان سيغرق بكفره ولهذا ساقته الاقدار إلي أن إنحاز عن حوزة أهل الايمان فغرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان.

ولما بلغ الشوط غايته، وطويت صحيفة القوم الظالمين، كفت السماء، وابتلعت الأرض الماء قال تعالي: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾)[2]

---

[1] سورة هود ، الآيتان ٤٣، ٤٤

[2] سورة هود – الآية ٤٤.

ورست السفينة على جبل الجودي، وقيل بعداً للقوم الظالمين قال تعالي:
(قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾)[1].

نزل نوح ومن معه. هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التي استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجوديِ وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور وقدمنا ذكره عند خلق الجبال، إهبط سالماً مباركاً عليك وعلى أمم ممن سيولد بعد أي أولادك فأن الله لم

يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلاً ولا عقباً سوى نوح عليه السلام قال تعالي(وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾)[2]. وقال ابن كثير فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسلون إلي أولاد نوح الثلاثة؛ سام وحام ويافث أولاد نوح عليه السلام. وظهر النور في جبهة ابنه سام أبو العرب.

وقال ابن كثير عن الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم. وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والسقالبة ولا خير فيهم وولد لحام القبط والبربر والسودان) وقال ابن كثير والصحيح ان الأولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونسائهم وأمهم.

---

[1] سورة هود – الآية ٤٨

[2] سورة الصافات – الآية ٧٧

وقد ذكر أن حاماً واقع أمرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه نطفته فولد له ولد أسود وهو كنعان بن حام جد السودان وقال ابن كثير وقيل بل رأى أباه نائماً وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخواه فلهذا دعا عليه أن يغير نطفته وأن يكون أولاده عبيداً لاخويه.

وفي كتاب قصص القرآن الكريم وقيل لنوح: إهبط بسلام إلي الارض أنت ومن معك من قومك تَحفَّكُم البركة وتكلؤكم العناية عناية الله وذكر صومه عليه السلام ذكر ابن كثير في البداية والنهاية وقال ابن ماجه قلا: عن عبد الله ابن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول(صام نوح الدهر إلا يوم عيد الفطر ويوم الأضحى.) هكذا رواه ابن ماجه عن طريق عبد الله بن لهيعه باسناده ولفظه.

وقال ابن كثير وقد قال الطبراني عن عبد الله ابن عمرو يقول سمعت النبي ﷺ: يقول(صام نوح الدهر إلا يوم الفطر والأضحي ، وصام داود نصف الدهر وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر) (صام الدهر وأفطر الدهر).

حج نوح ـ عليه السلام: قال ابن كثير في البداية والنهاية، وقال الحافظ عن ابن عباس رضي الله عنه قال حج رسول الله ﷺ فلما أتي وادي عسفان قال: (يا أبا بكر أي وادٍ هذا؟ قال: هذا وادي عسفان قال: لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات) أي: الفتية من الأبل.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالي قال عبد الله ابن عمرو إن رسول الله ﷺ قال:(إن نبي الله نوحاً ـ عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لأبنه إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله

فإن السموات السبع والارضين السبع لو وضعتا في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والارضين السبع كن كحلقة مبهمة فضمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلات كل شئ وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر قال قلت (أو) قيل يارسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر أن يكون لأحدنا دابة يركبها قال لا ، قال هو أن يكون الله فما الكبر قال سفه الحق وغمض:

أي: ازدراء الناس. أخبر الله تعالى نبيه محمد ﷺ ، قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾)[1]

مخبراً عن اختياره لهذه الصفوة المباركة دون سائر أهل الأرض من أول آدم أبو البشر الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه وعلمه أسماء كل شئ ، وفضله على العالمين، واصطفاه وكرمه بالعقل والعلم، وهذا شرف عظيم لبني آدم، وامتنان منه وإعطاء من الله له دون سائر خلقه، فلما رأت الملائكة أن الله أفاض على آدم من علمه أقبلوا عليه بالتعظيم وأقروا له بالفضل، فسجدوا أجمعين ، وأسكنه وزوجته جنته، ثم أهبطه منها إلى الأرض لما سبقت له في ذلك من حكمته.

واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض لما عبد قومه الأوثان. وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وانتقم له لما طالت مدته بين ظهراني قومه (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً، فلم يزدهم ذلك (إِلَّا فِرَارًا)[1] .

---

[1] سورة آل عمران – الآية ٣٣.

فدعى عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به. وقد أخذ الله الميثاق على الناس وهم في ظهر آدم ألا يشركوا به شيئاً. قال ابن كثير في قصص الأنبياء عن الإمام أحمد عن أنس عن النبي محمد ﷺ قال: (قد أخذ عليك وأنت في ظهر آدم ألا تشرك به شيئاً). رواه البخاري (٣٣٣٤/١/٦٠) فتح الباري. ورواه مسلم في صحيحه (٥٢/١٠/٥٠) وأخرجه عن شعبة به. واصطفى الله آل إبراهيم الذي هو منه الأنبياء وسيدهم محمد محمد ﷺ خاتمهم ، إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ ، سيد البشر ورسول الإنسانية النبي الأمّي العربي، القريشي، الهاشمي، الذي بلّغ عن ربه حتى آتاه اليقين.

واحرص على ذاك الدين وحب الرسول ﷺ ، والتعرف على المنهاج الإسلامي الذي ارتضاه الله للناس، فمن الفقه والشرع والأحكام والبحث العلمي مع العمل الصالح تكن للإسلام عنواناً وظل الله في أرضه، تفخر الأمة بك، وتعين على الحق ، وما بين كتاب العلوم الشرعية التي تخدم الكتاب والسنة المباركة المحمدية بشتى الأشكال والتي قام بها من اتبع الأولين بالإحسان في بيان مراد الله عز وجل في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ في سور شتى ما بين المطوّل والمختصر. رحمنا الله وإياهم وإياكم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم سبحانه ذو الفضل والجود والكرم رب العرش العظيم. وإنه يبهجني ويسرني أن أقدم (لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾)[2]

---

[1] سورة نوح – الآية ٦

[2] سورة الفرقان –الآية ٦٢

هذا الكتاب بين أيدينا فيه آيات من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة والأحاديث القدسية وهو بين يدي القارئ العزيز كتاب (نور الهدى والإيمان – من ذخائر أسرار الكون من بدء المخلوقات إلى زمان الطوفان) وبالله التوفيق لأهل الشهادة ، أهل التوحيد ، واستمتع به فللمستخبر أن يسمع ويقرأ ، وللمؤلف أن يقول كما نقول جميعاً الحمد لله رب العالمين ، وله الحمد في الأولى والآخرة والله على كل شئ قدير وبالله التوفيق.

ختاماً، أسأل الله عز وجل جلاله أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يهدينا إلى طريق الهداية إلى الله وأن يجعل ما قرأناه في ميزان حسنات والدينا وأن يتقبل منا برحمته وإنه على ما يشاء قدير وإنه نعم المولى ونعم النصير.

وهذه التعاليم والإخبار من وصايا رسول الله ﷺ ومن الأمجاد أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح ومن الأطهار الطيبين والجهابزة الأولين من سلفنا الصالح الذين قاموا بنشر دعوة القرآن الكريم والسنة المباركة قولاً وفعلاً ونصاً وفهماً وعملاً. وشرحوا وبينوا بياناً شافياً ، كما أمر الله ورسوله ﷺ العظيم. فإن كانت عظمته ﷺ ليست كعظمة الملوك والرؤساء ، ولكن عظمته رحمة وعطف وهداية وإرشاد ، عظمة تثقيف وتهذيب، عظمة إصلاح وتعمير، عظمة سلم وأمان، عظمة تهيئ للحياة الفاضلة عدتها، وتعيد لها سلبها الذي أطلق للعقل البشري حريته وفكته من السلاسل والأغلال وأهابت أن يتقلب في بديع الكون وظواهر الطبيعة وينتفع بما أودع الله فيها من أسرار وسنن ، وأنحَت باللائمة الشديدة على التقليد ، وعابت الجمود والتعصب للوراثة، وهذه التعاليم التي سوّت بين الذكر والأنثى ، والحاكم والمحكوم، وأقررت أن الناس سواسية.

وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى. فالواجب على كل إنسان عِمارة الكون والانتفاع بما خلق الله والسمو بالعقل الإنساني في وجه يسعد به الناس. فخير ما أوصى به رسول الله ﷺ أوصاني وإياكم ، هو التمسك بالكتاب والسنة والفقه والشرع والأحكام، والتفقه في دين الله ، والتطلع في كتب التفاسير والإقبال على علم الحضارات، والتقدم بالأمة والتطلع في الآفاق والتفكر في خلق السموات والأرض والتقدم على النور بالعلم والهدي المحمدي والإيمان بالله لتحظى بذخائر الكون وكلما تقدمت الحضارات فتح الله عليك وعلينا وعلى الأمة من ذخائره المكتنزة في الكون البديع وتسعد بك البشرية بتقدمها بعِمارة الكون والانتفاع بما خلق الله والسمو والارتقاء للحياة الفاضلة. فلله الحمد الذي أتم علينا نعمته وجعل الإسلام خاتمة الأديان، وختم لنا بخاتمة السعادة وإرضاء الوجود بخاتمة القرآن الكريم العظيم، وأنزله على محمد ابن عبد الله ﷺ فجعلت القرآن الكريم خاتمة ما أنزلت من كتاب، ومحمداً ﷺ شرعه الدين الذي ارتضيته لعبادك الصالحين. حملة مشكاة العقيدة ورفعوا راية الإسلام الأمجاد الذين صلحوا البلاد– رضي الله عن كل الصحابة أجمعين و آل بيته الأطهار الطيبين وعلينا معهم بالإحسان إلى يوم الدين ، آمين.

وقال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾)[1].

---

[1] سورة الأحزاب – الآية ٢١

وقال تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾)[1]،

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾)[2]،

وقال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾)[3]

وفي كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مثل ما بعثني الله به من العلم والهدي كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير.

---

[1] سورة النحل – الآية ١٠٢

[2] سورة الشورى . الآيتان ٥١ – ٥٣

[3] سورة الإسراء – الآية ٩

وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقهه في دين لله ونفعه ما بعثني الله به، فعَلم وعُلِّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به (وفي رواية وكانت منها طائفة قبلت الماء) . أخرجه البخاري في ٣- كتاب العلم ٢٠ باب، فضل من علّم وعلّم." المعنى: فالأول ذكره مثلاً لمن تعلم القرآن الكريم والحديث (أي: الهدي والعلم والفقه والشرع والأحكام)، فشرح الله صدر قلوب واعية حفظه قلبه فنفع نفسه بالعبادات وعلّم غيره مثل الأرض التي نفعت نفسها ونفعت الناس فأنبتت الكلأ والعشب. والثاني مثله ما لا يقبل الانتفاع لنفسه ولكن عنده فائدة له قلب حافظ ولكنه ليس له فهم ثاقب ولا رسوخ له في العقل يستنبط به المعاني والأحكام، وليس له جهد في الطاعة والعمل به ولكن يحفظه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عنده من العلم ، أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منه فينفع به الناس وينتفعوا بما بلغهم من الهدي والعلم مثل الأرض التي أمسكت الماء، نفعت الناس ولم تنفع نفسها. والثالث مثلاً مثل الأرض السباخ التي لا تنبت فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لغيرها مثل الذي لا معه علم ولا هدي بل متكبر ولم يلتفت إليه من غاية تكبره مثل الأرض السباخ التي شربت الماء، لا نفعت نفسها ولا نفعت الناس. فأنت من أي نوع من هذه الثلاثة؟

قال تعالى:(مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﷺ)، وقال تعالى: (لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ).

وقـــال تعـــالى:(وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤)
أما الهدي المحمدي فهو السنة المباركة وهي الأحاديث القدسية الملهم بها رسول الله ﷺ إما في المنام أو الإلهام، يرويها عن رب العزة تبارك وتعالى.
وأمـا الأحاديث النبويـة الشـريفة المباركـة التـي تكلـم بهـا عـن نفسـه ﷺ (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣) ﷺ فكانت تعاليمه ﷺ بالقرآن يخاطب القلـوب ومثلـه معـه وبدأ بكلامـه عـن ربـه يعلـم ويشـرح ويبيّن بيانـاً شـافياً ويوضح ويهيئ للحياة الفاضلة عدتها لإصلاح البشر لينتفع الناس بما أوضع الله فيها من أسرار وتكريم. وبعد، قد انتهينا من ذكر خلق السموات والأرض وذكر قصة آدم ونـوح عليهما السلام. وأردنـا أن نوضح بهذه اللطـائف حتى يدرك القارئ الحكمة في تـأخير خلـق آدم – عليـه السلام – عن المخلوقـات: القلم والسموات والأرض و الجبال والبحار والأقوات والأرزاق. أنشأ الله الوجـود مـن العـدم، وقـدَّر مـا كـان قبـل أن يكـون فـي اللـوح والقلـم و (عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ) أولاً: كان أول المخلوقات القلم ليكتب المقادير قبل كونها وجعل آدم آخر المخلوقات وفي ذلك حكمـة، أحدها تمهيد الدار قبل الساكن، ٢- إن الغاية التي خُلِق من أجلها. ٣- أن حذقة الصانع يختم عمله بأحسنه. ٤- أن النفـوس متطلعـة إلىالنهايـات والأواخـر دائمـاً. ٥- أن الله سبحانه وتعالى أخـَّر أفضل الكتب والأنبياء والأمم إلى آخر الزمان وجعل الآخرة خير من الأولى، والنهايات أكمل من البدايات.

فكم بين قول الملك للرسول ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ فيقول وما أنا بقارئ، وبين قوله ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ ٦- أنه سبحانه جمع ما فرّقه في العالم في آدم فهو العالم الصغير وفيه ما في العالم الكبير. ٧- إنه خلاصة الوجود وثمرته. ٨- إن من كرامته على خلقه هيأ له مصالحه وحوائجه وآلات معيشته وأسباب حياته فما رفع رأسه إلا وذلك كله حاضراً وعتيد. ٩- إنه سبحانه أراد أن يظهر شرفه وفضله على سائر المخلوقات وقدمها عليه في الخلق ولهذا قالت الملائكة ليخلق ربنا ما يشاء ، فإنه لم يخلق خلقاً أكرم عليه منا ، فلما خُلِق آدم وأمرهم بالسجود له، ظهر فضله وشرفه عليهم بالعلم والمعرفة، فلما وقع في الذنب ظنت الملائكة أن الفضل قد نُسِخ ولم تطلع على عبودية التوابة الكامنة، فلما تاب إلى ربه علمت الملائكة أن له في خلقه سر لا يعلمه سواه. ١٠- أنه سبحانه لما فتح خلق هذا العالم بالقلم كان من أحسن المناسبة أن يختمه بخلق الإنسان ، فإن القلم آلة العلم والإنسان هو العالم ولهذا أظهر الله – سبحانه وتعالى – فضل آدم على الملائكة بالعلم الذي خصه به دونهم. وفي كتاب وصايا الرسول ﷺ ، روى ابن ماجة عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال، خاطبنا رسول الله ﷺ فقال: (يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغَلوا، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتنصروا وتُجبَروا).

وختاماً وبالله التوفيق ، اللهم إني أسألك حسن الخاتمة في كل شئ في الدنيا والآخرة. نقول وبالله التوفيق والمِنَّـة والإخلاص في القول والعمل والأجر والثواب من الله تعالى على هذا الجهد الكبير من أجل أن أكشف عن العِبر والعِظات بما يفيد القارئ عما في الدنيا والآخرة ، بأسلوب حكيم معجز جزلاً رائقاً من غير تكلف ولا تقعر ، معتمداً على القرآن والسُنة المباركة النبوية المطهرة ، من بدء الخلق وقصص الأنبياء ؛ لأن بدء الخلق أساس حقيقة التوحيد الإيمانية الربانية الإسلامية الأخلاقية العقلانية. وقصص الأنبياء مرآة تعكس لأهل كل عصر ما وقع في العصور الخالية من صراع ما بين الخير والشر . هذا الكتاب قد دار مؤلفه حول الأسس العقيدية ليكشف للقارئ من خلق المخلوقات من بدء العرش والكون ، والقصص ومظاهر الحياة في الكون عن عظمة الخالق الإلهي الذي أوجد الوجود من العدم . وقدّر ما كان قبل أن يكون في اللوح والقلم (وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ) والماء على متن الريح. خلق الله النار والبراكين في (أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ) وخلق عليها الطبقة الجيرية وفوق الطبقة الجيرية الطبقة البازلتية وفوق الطبقة البازلتية الماء (أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨﴾)[1] ، الذي قال من قبل أن يخلق السموات والأرض، وكتب في كتاب عنده ورفعه عند العرش (ورحمتي سبقت غضبي). رواه البخاري عن أبي هريرة ، وفي رواية للإمام مسلم والبخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال عن ربه عز وجل قال (ورحمتي غلبت غضبي) .

---

[1] سورة التين – الآية ٨.

ووضع الله الماء ووضع عرشه على الماء وأمر الرياح جميعها أن تثور فثارت المياه ، ضرب بعضها ببعض حتى هيجت الأمواج فانكسرت الطبقة البازلتية فخرج البركان بالنار ، فتقابل مع الماء فاندفع وعلا ورفع وسما في جو الفضاء مثل السديم ، وما السديم إلا ذرات ملتهبة في جو الفضاء بالماء وسُمّي بخار الماء بالسديم لأنه يشبه الدخان، فتراكم بعضه فوق بعض فتكونت منه المجموعة الشمسية ، كما قالوا علماء النظرية العلمية في كتاب الإعجاز العلمي وفي تفسير الجلالين عن الزمخشري، قال: بخار الماء سُمّي بلسان العلم الحديث السديم وفيه عوالم كثيرة مثل شمس وسيارتها ،

وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾)[1]

ولما علا الماء وسما وارتفع من البركان والنار بسموه وعلوه وارتفاعه سماه سماء ، كما قال ابن كثير في البداية والنهاية ، أما الباقي من الماء قال لها كوني أرضاً فكانت الأرض (كالكرة الباركة في وسط الماء كالتل العظيم). كما ذكر ابن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما . ثم فتق الأرض سبعاً طباقاً من أجل كلمات التوحيد سبع كلمات (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . من أجلها سبَّب الأسباب ، وقدَّر في الأرض أقدارم وأحاط الأرض بالبحار السبعة من أجل الوضوء للصلاة ، وخلق السموات السبع ، وختم بالإنسان في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة ، وأمره بالسجود على سبع مواضع ، فلما رأى إبليس أبو الشياطين آدم وحواء وذريتهما يسجدون على سبع مواضع من أجل التوحيد سبع كلمات لله ، قال ﷺ : (قال الشيطان يا ويلتي

---

[1] سورة الأنبياء – الآية ٣٠.

أمِـرتُ بالسـجود فعصيت وأمِـرَ ابـن آدم بالسـجود فسـجد). رواه البخـاري ومسلم عن أبي هريرة. ولما نسى الإنسان أرسل رسله مبشرين ومنذرين من أجـل كلمـات التوحيـد وحـذّر بالوعيـد وبالعـذاب الألـيم فـي القصـص العِـبر والعِظات عن واقع الإنسان المُر الأليم حين يعصي مولاه الذي خلقه فسواه ولا يوقر من دعاه إلى مولاه ، وانظر كيف عبَّر القرآن وشرحت السُنة عن نوح الذي عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه فلم يستجيبوا له ، فدارت عليهم الدائرة فأهلكهم أجمعين إلا الثمانين مؤمن وأزواجهم نجاهم الله بالسفينة فرست على جبل الجودي ونزلوا بسلام وبنوا مدينة سميت مدينة الثمانين بالقرب من الموصل. وكان الترجمان للغات التي تهتهوا بها من الحبسة في السفينة كان نوح هو الوحيد المحافظ على اللغة العربية ، فكان الترجمان لهم ومن وقتها كانت اللغة الإنجليزية والفرنسية والفارسية واليونانية واللغات الثمانين لغة من أهل السفينة. وماتوا جميعاً وذرية نوح الثلاثة هم الباقين ، وبُعداً لابن نوح كنعان أمه والكافرين ، وأبقى الله أولاد نوح الثلاثة وأزواجهم ، فكانت قارة أوروبا وجزيرة العرب من نصيب سام ابن نوح وأولاده العرب البائدة أولاد أرفخشذ وإرم وعملاق منهم هود وجديس وعاد وثمود قوم صالح وإبراهيم وذرية إسماعيل وإسماعيل خالط العرب العاربة الباقين من العرب البائدة وأعجبه وشب بينهم وكان أفصحهم لساناً ، فلما أعجبهم زوجوه بنت سيدهم مضاض ابن عمرو الجرهمي فولدت له اثنى عشر رجلاً ، فكانت اثنى عشرة قبيلة تفرقوا في أرض شبه الجزيرة العربية ، فكانت العرب المستعربة .

أما بنت إسماعيل ابن إبراهيم وهي نسمة بنت إسماعيل زوجها لابن عمها العيص أخو يعقوب ابن اسحاق ابن إبراهيم فولدت له الروم والفرس ولاشبان والقياصرة والإفرنج بني الأصفر ؛ لأن العيص ابن إسحاق كان به صفار في وجهه فسُمي بني الأصفر.

أما العبرايين أولاد بني إسرائيل وسُمي يعقوب إسرائيل لِما كان نائم عند صخرة القدس فنادته الملائكة يا إسرائيل فقال: لو تزوجت وأعطاني الله أولاداً ومالاً لأبني عند هذه الصخرة بيتاً نتعبد فيه لله وحده ، فلما عاد من عند خاله من العراق ومعه أزواجه الأربعة ليا و رحيل أولاد خاله لابان والجارتين ومعه الأسباط أولاده أخوه يوسف عليه السلام ، بنا يعقوب القدس بعد بناء الكعبة التي بناها إبراهيم وإسماعيل بأربعين عاماً . وكان العبرانيين من أولاد يعقوب الأسباط بني إسرائيل . أما السند والهند والآشوريون والبابليون والكنعانيون أولاد لوط عليه السلام وكلهم أولاد سام أبو العرب والروم والفرس والأنبياء.

أما حام ابن نوح – عليه السلام – منه قارة أفريقيا ، النوبة والسودان والبربر . ومصر أولاد مصرايم ابن حام الذي دعا له جده نوح – عليه السلام – وقال : اللهم أسكن مصرايم وأولاده الأرض المباركة التي هي غوات البلاد ونيلها أحسن أنهار الأرض . فكانت مصر من نصيب مصرايم وأولاده الأقباط أقباط مصر.

أما يافث ابن نوح – عليه السلام – كان من نصيبه قارة آسيا وأولاده اليونان والأتراك والسقالبة والصين ويأجوج قبيلة همجية أولاد التتار ومأجوج قبيلة همجية أولاد المغول والسد بين جبلين .

ويحــد يــأجوج ومــأجوج بحـر قـزوين والبحـر الأســود والأتــراك تــركهم ذو القرنين ؛ لأنهم هم الذين اشتكواله من يأجوج ومأجوج وساعدوه في بناء السد. وكان ذو القرنين في زمن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – وكان على مِلة إبراهيم وطاف معه بالبيت الحرام وسلم على إبراهيم بالسيد . وحارب ذو القرنين النمروذ بـأرض العراق وحكـم حكمـاً لإبـراهيم – عليـه الصـلاة والسلام – وذو القرنين لـيس إسكندر المقدوني كمـا يزعمون ؛ لأن إسكندر المقـدوني قبـل ظهـور عيسـى – عليـه السـلام – بثلاثمائـة عـام ، كمـا ذكـر القسطلاني في فتح البـاري بشرح صحيح البخـاري. وهذا بمشيئة الله تعالى سوف نـبيِّـنه بالتفصيل فـي الجزء الثـاني (بـدء الخلـق وقصص الأنبيـاء) والجزء الثالث بدء الخلق وقصص الأنبياء وتـاريخ العرب والإعجاز العلمي في القرآن والحقائق العلمية والحقيقـة الكونيـة واللطـائف البيانيـة مـن القرآن والسُنة النبوية والمقاصد الشرعية في سلسلة كتب إسلامية بعو الله وحسن توفيقه لي ولكم ولأمه الإسلام ، كما نرجو التفقه في دين الله تعالى والنصر بـالعلم والهـدى نقـف صـفاً يواجـه أعـداء الـدين الحنيـف بـالرد علـيهم بـالعلم والهدى المحمدي والحقائق العلمية واللطائف البيانية وقد أغنانا الله برسولنا محمد ﷺ عن جميع الشرائع بما يفيد الأمة الإسلامية وبالعقل الإنساني الذي رفـع شـأنه الله تعـالى فـي القـرآن والسُــنة عـن العـرش والكـون مـن أجـل استكشاف عظمة الله تعالى ومن أجل التوحيد خلق الله سبع سموات ، سبع أراضين ، ومـن أجل العلم خلق الله القلم واللوح المحفوظ أولاً ؛ لأنـهم آلـة العلم وختم بالإنسان ؛ لأنـه العالِم الذي يخط على اللوح بـالقلم ، وقـال ﷺ : (ومن حبه الله فقّـهه فـي الـدين . وألـهمـه رشده) رواه البخـاري ومسلم عن معاوية والزيادة للطبراني وفي كتاب إحياء علوم الدين.

والصدقة أعظم عند الله تعالى من الجبال ومن الحديد ومن النار ومن الريـاح، والماء خلق من أجل الصلاة ، والأرض دار العمل. ومن طلب العلا يعلى ومن اختار الدنيا سكن في (أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝) والسموات دار القرار.

وقال ﷺ : (إذا سـألتم الله الجنـة فاسـألوه جنـة الفـردوس الأعلـى ، فـإن أهل الجنـة يسـمعون أطيط العـرش وتسـبيح الملائكـة ، وسـقفها عـرش الـرحمن). رواه مسـلم عـن محمـد ابـن فلـيح عـن أبيـه. اللهـم ارزقنـا الجنـة وأظلنـا بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك يا رحمن يا أراحم الراحمين.

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه والحمد لله رب العالمين رب العرش الكريم وصلى الله وسلم على صاحب هذه الوصايا ، كما أوصـاني والـدي رحمهم الله تعالى وأدخلهم فسيح جنته أن أصلى وأسلم عن النبي محمد صلى الله عليـه وآله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه

مؤلف الكتاب/ جابر محمد محمد إسماعيل عبد الكريم الدالي – من قبيلة جهينة، ابن زفر ابن ليث ابن سُويد من نجد – أصلها الجزيرة العربية -

مواليد الإسكندرية سنة ١٣٧٠هـ –

كتاب نور الهدى والإيمان من زخائر أسرار الكون

وفي كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للبخاري ومسلم عن أبي هريرة قال، أن رسول الله ﷺ قال: " قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم وأشجع وغفار، موالى، ليس لهم مولى دون الله ورسوله- أخرجه البخارى في كتاب المناقب ٦١- باب فضائل قريش والانصار وجهينة .

دعاء الاستغفار وخاتمة الكتاب

اللهم إني استغفرك لِما قدمت وما أخرت، وما علمت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر. وأنت على كل شئ قدير وإليك المصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم أني استغفرك، لا إله إلا أنت من كل ذنب تـبْتُ منه ثم عدت إليه وأستغفرك لا إله إلا أنت من كل فريضة وجبت علي في بياض النهار أو في سواد الليل تركتها سهواً أو غفلة أو خطأ أو تهاوناً وأنا مؤآخذ بها يوم القيامة وأستغفرك لا إله إلا أنت من كل سنة من سنن الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ تركتها سهواً أو خطأ أو تهاوناً وأستغفرك لا إله إلا أنت من النعم التي أنعمت بها علي، فاستعنت بها على معاصيك وأستغفرك لا إله إلا أنت من كل يمين حنثت فيه، وهو عندك مُحرَم

وأنا مؤآخذ به يوم القيامة، واستغفرك لا إله إلا أنت يا عالم الغيب والشهادة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبد الله ورسوله وصفيه وخليله روح جسد الكونين وبرزخ البحرين وثاني اثنين سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى أهله وأصحابه أجمعين. يا من أعطاه الله صفة جميع الأنبياء والمرسلين أعطاه الله صفوة آدم ومولد شيث وشجاعة نوح ونصح هود وفصاحة صالح وحلم إبراهيم ورضا إسحاق وبشرى يعقوب وجمال يوسف وعلم الخِضر وقوة موسى وتسبيح يونس وصبر أيوب ، ومُلك ونعمة داود، وهيبة سليمان وزهد عيسى عليهم جميعاً وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكى السلام. ونستغفرك لا إله إلا أنت من الذنوب التي لا يطلع عليها أحد سواك ولا ينجيني منها أحد غيرك ولا يسعني إلا حلمك ولا

ينجيني منها إلا عفوك وأستغفرك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اللهم صلي وسلم وبارك على من سميته محمداً وأحمداً ونبياً ورسولاً ومذكراً وذاكراً وحبيباً وسيداً وحصوراً من الصالحين ونوراً ومدنياً ومكياً وعربياً وهاشمياً ورؤوفاً ورحيماً وحليماً وحكيماً وبرهاناً صحيحاً وشريفاً وبشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﷺ وعلى أهله وأصحابه أجمعين وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

اللهم ارحمنا بالقرآن والسنة واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة. اللهم ذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته وتأويله آناء الليل وأطراف النهار واجعله لنا حجة لنا ، لا علينا يا رب العالمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها ميعادنا، وأجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. اللهم أجعل خير أعمارنا آخرته، وخير أعمالنا خواتمه وخير أيامنا يوم نلقاك فيه. اللهم إنا نسألك عيشة هنية، وميتة سوية ، ومرداً غير مخزي ولا فاضح. اللهم إنا نسألك خير المسألة وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العلم ، وخير الهدي، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتنا وثقّل موازيننا، وحقق إيماننا ، وارفع درجاتنا عندك بالعلم والتفقه في دين الله وبالأعمال الصالحات، وتقبل منا صلاتنا واغفر لنا خطايانا، اللهم إنا نسألك العلا من الجنة ، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد اعتمدت في بحثي هذا على تلك المراجع
مراجع الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية الشريفة
من الكتب المصنفة الصحيحة

أولاً:- القرآن الكريم – ثانياً:- الاحاديث القدسية – ثالثاً:- الأحاديث الشريفة وهم:

١- الآيات من القرآن الكريم ومعاني من التفسير
٢- موطا الامام مالك امام دار الهجرة رحمة الله تعالى .
٣- صحيح إمام المتحدثين محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة من برد زبه الجعفى البخارى رحمه الله تعالى .
٤- صحيح الامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى رحمه الله تعالى .
٥- جامع الامام ابى عيسى الترمذي " والنوادر " للحكيم الترمذى رحمه الله تعالى .
٦- سنن الامام ابى داود السيجستانى رحمه الله تعالى
٧- سنن الامام ابى عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائى رحمه الله تعالى .
٨- سنن الامام ابن ماجه القزوينى رحمه الله تعالى .
٩- كتاب الاحاديث القدسية والتحف السينة للعلامة جمال الدين القاسمى الدمشقى رحمه الله تعالى
١٠- تفسير معجزة القرآن الكريم للامام الشيخ محمد متولى الشعراوى .
١١- تفسير الوسيط للمصحف الميسر للدكتور الامام الاكبر شيخ الازهر محمد سيد طنطاوى.
١٢- تفسير القرآن المجيد بقلم الشيخ محمد محمود سالم .
١٣- تفسير القرآن الكريم للامام القرطبي .
١٤- تفسير القرآن الكريم للامام الطبري
١٥- دلائل النبوة للامام البيهقي .
١٦- مسند الامام احمد ابن حنبل
١٧- شرح مسلم النووى لشهاب الدين بن حجر الهيتمى " للاربعين "
١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري الحافظ أبي الفضل أحمد ابن علي ابن حجر القسطلانى.

١٩- البداية والنهاية للحافظ المتقي عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن اخطب بن حفص بن عمرو بن كثير الشافعي رحمه الله تعالى .
٢٠- بدائع الزهور في ووقائع الدهور للامام محمد ابن احمد إياس الحنفي
٢١- منهاج مسلم – جابر ابو بكر الجزائرى
٢٢- كتاب وصايا الرسول للدكتور عبد الله العفيفى
٢٣- كتاب جوامع الكلم للداعية ياسين رشدى .
٢٤- فقه السنة للامام السيد سابق
٢٥- كتاب إحياء علوم الدين للامام ابى حامد الغزالى تعليق العلامة زين الدين ابى الفضل عبد الرحيم حسين العراقي وعلق عليه الشيخ طه عبد الروف سعد من علماء الازهر الشريف .
٢٦- مختصر البخارى المسمى التجريد الصحيح مكتبة الايمان بالمنصورة .
٢٧- اللؤلو والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان وضعه الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي
٢٨- قصص القرآن الكريم للمرحوم محمد احمد جاد المولى رحمه الله تعالى
٢٩- كتاب رسائل للامام محمد عبد الوهاب وكتب التوحيد له
٣٠- كتاب التوحيد وكتب رسائل ائمة الدعوة المعاصرين للامام محمد عبد العزيز الباز.
٣١- قصص الانبياء لابن كثير
٣٢- كتب التربية والتعليم للدكتور أحمد عمر هاشم وزملائة من علماء الازهر الشريف .
٣٣- الدكتور زغلول النجار شرائط وكتب عن الزلازل والبراكين والجبال
٣٤- المسمى التجريد الصحيح مختصر البخارى للامام زين الدين أحمد عبد اللطيف الزبيدي .
٣٥- الاعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم. تاليف الأستاذ/ محمد محمود عبد الله عالم المعرفة.
٣٦- التاريخ الإسلامي تاليف عبد الشافي غنيم ود. محمد عبد الحميد عيسى.
٣٧- نظرات في الكون والحياة عبد الجواد رحب تقديم محمد الغزالي.
٣٨- يتجلى الله في عصر العلم ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان علق عليه الدكتور جمال الدين الفندي.
٣٩- فقه السنة للإمام السيد سابق.

فهرس الكتاب

هذا الكتاب

من ذخائر أسرار الكون الترجمان دعوة السنة والقرآن من بدء الخلق والتاريخ من قبل الطوفان بثلاثمائة عام ، الأهرام بناها الملك سوريد بن شهلوق في ستين عام وقال من أراد القوة في ملكه فليهدهم في ثلاثمائ عام، والهدم أسهل من بناء أهرامات مصر. وكانوا مائ هرم عليها علوم العلماء والكهان على الجدران، ومصر ونيلها دعوة نوح لمصرايبم وأولاده ، قال اللهم اسكنهم في الأرض المباركة التي نيلها أحسن أنهار الدنيا واجعلهم غواث الناس لكل البلاد. أما حام أبو مصرايبم منه النوبة والسودان والبربر وأفريقيا أما سام ابن نوح منه وأولاده أوروبا والجزيرة العربية ، أما العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة أولاد سام، أما السند والهند والآشوريون والبابليون والكنعانيون أولاد لوط ، أما العبرانيين بني إسرائيل الأسباط أولاد يعقوب ابن إسحاق ، أما الفرس والروم ولاشبان والقياصرة والإفرنج أولاد بني الأصفر أولاد العيص ابن إسحاق وأمهم نسمة بنت إسماعيل ابن إبراهيم زوجة العيص نسمة والعيص ابن عمها إسحاق ، أما العرب المستعربة أو لاد إسماعيل اثنى عشر رجلاً من زوجته بنت مضاض ابن عمرو الجرهمي وتفرعت منهم اثنى عشرة قبيلة وانتشرت في أرض الجزيرة العربية على أرض مساحتها أكثر من مليون وثلاثمائة كيلو متر مربع تحاط بالبحار والمحيطات من كل جانب وأرضها رمال ولذلك كان العرب أحراراً ومعظم تجارتهم الشام ومصر واليمن.

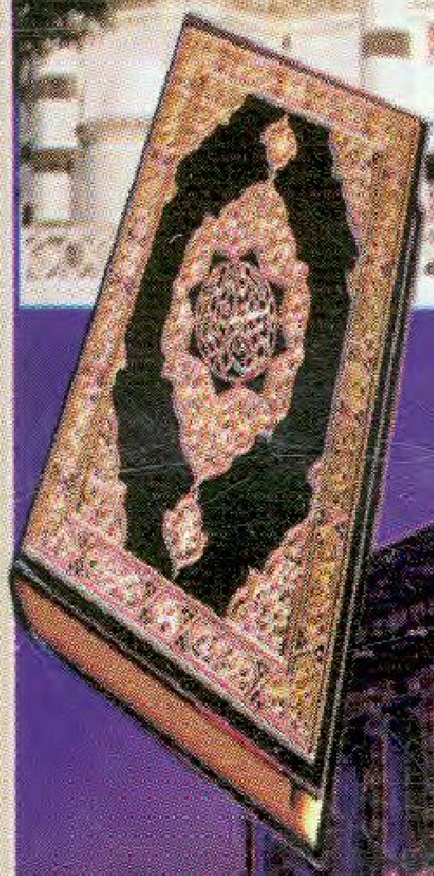
ت/ ٠١٢٧٥٧٦٨٦٤

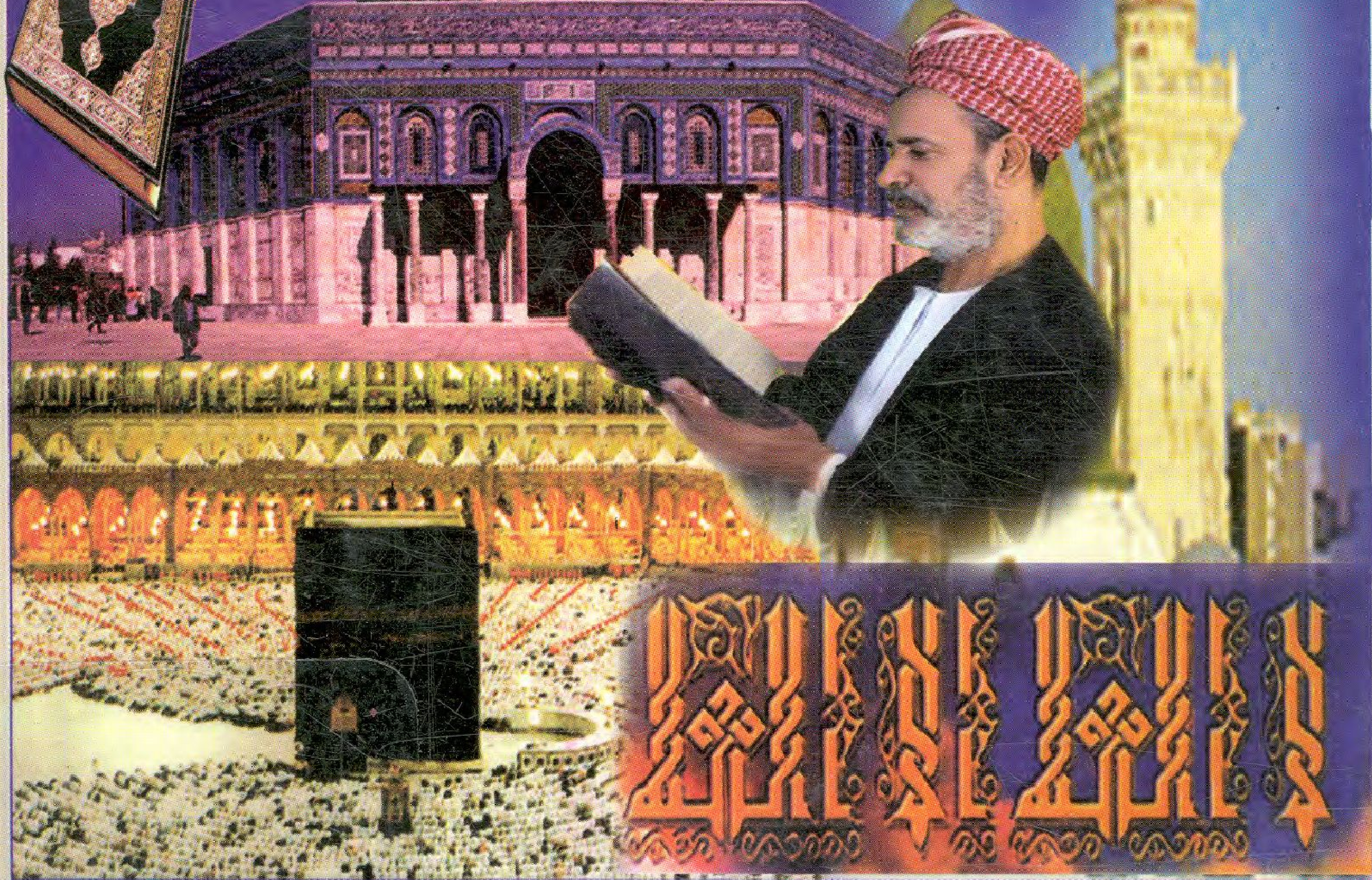
لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد رسول الله

الترجمان ودعوة القرآن - كتاب (نور الهدى والإيمان) من ذخائر أسرار الكون

من بدء الخلق وقصص الأنبياء

جمع وإعداد وشرح وتعليق



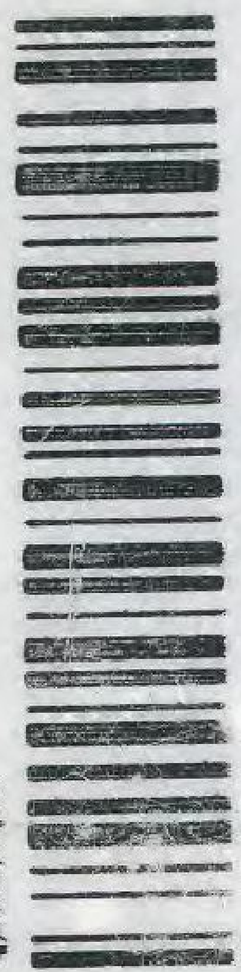


مؤلف الكتاب

الداعي إلى الله

جابر محمد محمد إسماعيل عبد الكريم الدالي

ربع أولاد أحمد من قبيلة جهينة بن زيد بن زفر - ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن ما
بن قضاعة بن معد بن عدنان من نجد أصلها الجزيرة العربية مواليد الإسكندرية -





مؤلف الكتاب: ٠١٢٧٥٧٦٨٦٤